عقليّة المُستعمَر: تجربة الشباب الفلسطيني في القدس

Colonial Mentality: The Experience of Palestinian Youth in Jerusalem

رسالة ماجستير مُقدّمة من الطالبة:

رونا ناصر

بإشراف: الدكتور إبراهيم مكاوي

جامعة بيرزيت – فلسطين

2013

الإهداء

إلى شفائي الأول والأخير .. إلى بلسم جراحي إلى من تقتطع جهدها وتعبها لترسم راحتي إلى أكثر قلب قادر على إنتشالي من نظرة وإبتسامتي "أمي حبيبتي."

إلى من علمني معنى الوقوف بكل جبروت وحيده أنـهم الإعتماد على ذاتي .. – والدي –

إلى مملكة العطاء التي حملتي على أكنافها.. الى من إحتووني بصدق إخوتي الاعزاء رائد وفارس وصابرين ومحمد ورشا

إلى من حملتني وتحملتني.. وبصدق الكلمة أحبتني ..إلى أجمل طوق ياسمين أُحيطت به حياتي رفيقة دربي الرائعة ومثلي الأعلى "اختي المحامية شيرين"

إلى أكثر العقول إتزاناً وأكثر القلوب إحساساً .. إلى أكثر وجود يُشعرني بالأمان اختي صابرين

إلى عراب أحلامي وصانع طموحي الأول والأخير الى من آمن بي دوماً.. أستاذي الفاضل موريس بقلة

إلى من علمني ان أرسم نفسي بالتقدم والنجاح والثقة ..الدكتور خضر رصرص

إلى أجمل حضور متقّد.. إلى من علمني العلم والمعرفة كفن جميل في لوحة جميلة الدكتور العزيز "مصلح كناعنه"

إلى أصدق الأطياف التي رأتها عيناي وشعرت بها حواسي.. إلى أعمق وأصدق عطاء وجدته بلا مقابل الدكتور العزيز أباهر السقا

إلى من كان على يقين بشكل دائم بشغفي وانتمائي لنفسي ولدراستي .. من يستقبل إنجازاتي بكل سرور وبهجة.. الدكتور حسن عبد الكريم

إلى من أعطاني من ثمار وقته الغالية وشرفني بتبنّيه إشراف عملي المتواضع.. وأعطاني من الصبر رشفة أمل بل وعلّمني دروساً فيه وتحمّل بَوْحْ فلسفاتي المُتعبة الدكتور والمشرف العزيز ابراهيم مكاوي

الى كل من يحترق بوعيه.. من لم يُصِبْهُ عَطَبْ الوعي الزائف.. إلى كل مُضطَهَد ليس بمقدوره فعل شيء سوى الشعور بإضطهاده

إلى من هم بين الأنقاض كالسنابل أو كنخيلٍ وسط أكوام الرماد تأبى الرضوخ لصفعات الإستعمار بين الاكواخ المترهلة المغلفة بالغبار .. اللاجئين الفلسطينيين في الشتات

إلى وطني الحبيب فلسطين... إلى بؤرة الوعي المرهقة "القدس"

إلى أنا التي عانت معي.. التي لا تسأم التعب من الشعور بمساحات الوعي المرهقة

أُهديكم جميعاً مساحاتي ومساحة يشرأبَّ فيها الجمال على أكتاف الألق

لينير هذا الوعي أيامنا ببعضنا..

فإستمتعو.. أو إنتقدو أو اجعلوها أنتم فحسب ثرثرة متعبة...

أقصد – فلسفة مُتْعَـــــــــبــَة –

شكر وتقدير

إلى أكثر من يشعر بي بشكل دائم.. إلى من بسببه ما زلت أتنفس وأعيش هذه اللحظه حتى تسنى لي الوقوف الآن .. الله عز وجل

إلى من ساهموا في إثبات وإيصال الرسالة في هذه الدراسة المتواضعة وفي إتمام هذا العمل.. إلى من يدقوا ناقوس ذاكرتي في هذه اللحظات .. المبحوثين الأعزاء.

إلى أعضاء لجنتي الأعزاء.. من رافقوني في مراحلي الأكاديمية الأولى وزرعوا بي حبَّ التقدم والنجاح وساهموا في إكمال الطريق معي.. الدكتوره بيهان القيمري والدكتور محمد بريغيث

إلى كلّ من أعطاني من وقته لسماعي ورافقني في مراحل تعبي وقلقي أثناء هذا العمل.. وزرع لي ثمار الراحة الشعورية ..أصدقائي المخلصين بدون إستثناء وإلى فداء وعرين بشكل خاص

الى انا المتعبة..المتبعثرة بوعيها التي أفخر بها ... شكراً لنفسي

الى كل من جعلني جزءاً من يومه هذا ووهبني أهمية وجوده قربي .. أصدقائي وصديقاتي الاعزاء بدون إستثناء

لكم جميعا اقول شكرا جزيلا من اعماقي.

الملخص باللغة العربية:

يُعتبر موضوع الذهنية الأستعمارية من المواضيع التي شغلت اهتمام الباحثين في حقبات مختلفة، ولعلّ من أهم الأدلة على ذلك، أنّ فانون تحدّث عن الإستعمار الفرنسي في الجزائر في أوج الثورة الجزائرية حيث كان محاربا ًفي الثورة الجزائرية أسفل الإستعمار الفرنسي. كذلك فريري الذي أيضا ً بدوره تناول موضوع الإستعمار ولكن من منظور تربويّ حيث يتم إضطهاد الآخر بهدف تحقيق اهداف ومصالح شخصية للمستعمِر على حساب من يقوم بإضطهاده. وعليه، إن الأستعمار الفكري والثقافي والذي يقوم بشكل كبير من خلال المساحة النفسية للفرد من اخطر انواع الأستعمار، فهذا النوع من الأستعمار له آثاراً نفسية بعيدة المدى، وأخطر من الأستعمار السياسي. وبالتالي، إن حدوث ذلك ليس تحصيلاً حاصلا ً بشكل حتميّ من خلال حمل أفكار نمطية سلبية عن المُستعمِر؛ حيث من خلال اتصال المُستعمَر المباشر بالمُستعمِر، فإنّ ذلك يؤثر على حيز المستوى الإدراكي والمعرفي لدى المُستعمَر فيلعب دوراً في تكوين الأفكار النمطية عن الذات والآخر. (المستكاوي،2007)

وبالرغم من ندرة الأدبيات التي تناولت هذا الموضوع بصدد التركيز على توجهات وأفكار المُستعمَر، إلا أنه لم يكن هنالك أدبيات تتناول موضوع الذهنية الإستعمارية في سياق لا يزال فيه هذا الموضوع قائماً بحد ذاته، فأغلب الدراسات تناولت المجتمعات تحت مظلّة ما بعد الإستعمار اليوم. ولعلّ من أهم الامثلة على ذلك دراسة الخطاب الإستشراقي لـِ إدوارد سعيد الذي يُعتبر من منظرين نظرية ما بعد الإستعمار، حيث أن الإستشراق أسلوباً من أساليب السيطرة على الشرق وإحكام السيادة عليه وهذا في ظلّ خلق نماذجاً ثقافية جديدة، من خلال الأفكار والثقافات والتاريخ ومن ثم التوصل إلى أن العلاقة ما بين الشرق والغرب في أساسها مبنية على السيطرة والهيمنة.(Said, 1979) بينما في السياق الفلسطيني ما زال الظرف الاستعماري قائماً بحد ذاته؛ وهو ما يُحتّم ضرورة الدراسة للعلاقة الأستعمارية ما بين المُستعمَر والمُستعمِر، وهو ما يعتبر امرا ً جوهريا ً مميزا ً في هذه الدراسة.

وبالتالي، فإن هذه الدراسة تتناول الموضوع موضحة ً أثره على الإنسان الفلسطيني كفرد ضمن وجوده في جماعة، وأثره ايضا ًعلى تلك الجماعة. فـــــــــــَــــــــفي الوقت الذي يتم إضطهاده فيه في ظل سياق إستعماري، يؤدي به هذا السياق من خلال إتصاله المباشر مع ذلك المُستعمِر، أن يذوّت اضطهاده ويستدخله كفرد تارةً، وتارةً بأن يذوّته ويستدخله حين يمارس إضطهاده على من هو أضعف منه والذي قد يكون فرداً من جماعته. وهنا تكمن مهمّةً من أهم مهمات الإنسانية إجمع، ورسالة من إهم رسائل حقل علم النفس المجتمعي؛ وهي إيجاد الوسائل والأساليب التي من خلالها قد يتم تحرير المُضطهَدين وتحرير من يعانون معهم. (Nelson& Prilleltensky, 2005)

وبناء ًعليه، ومن خلال هذه الدراسة قامت الباحثة بالإستناد على منهجية البحث الكيفي؛ وذلك من خلال القيام باتباع المقابلات النوعية كأداة بحثية مع (18) مشارك من الشباب الفلسطيني العامل في القدس. وقد تم تسجيل هذه المقابلات وتفريغها حرفيا ً؛ حيث تم الإعتماد في تحليل البيانات وفقاً لمنهجية النظرية المجذرة **(Grounded theory)** وأدواتها بشكل محوري وأساسي؛ وهذا كَوْنْ النظرية المجذّرة منهجية استقرائية **(Inductive)** في البحث الكيفي، والتي تعتمد بالدرجة الأولى على الوصول إلى القضايا المشتركة بين المشاركين، ومن ثم دمج هذه القضايا وهو ما يؤدي الى تشكيل محاور ومفاهيم نظرية ذات قيمة علمية. (كاميك، رودس ورادلي،2007)

وقد اتضحت بعضا ً من النتائج والتي تمثلت كما يلي:

المحور الأول: العامل الأقتصادي (إستدخال الهزيمة الطبقي) حيث إن هناك إجماعاً على الشعور بصعوبة الوضع المعيشي في القدس؛ بسبب عدم توفر فرص العمل، وزيادة الأعباء والمسؤوليات الحياتية .

المحور الثاني: الهوية الوطنية؛ الشعور بضرورة الإلتزام بالهوية الفلسطينية والثقافة العربية وهو ما يتمثّل بالفخر والاعتزاز بالإنتماء الى هذه الثقافة.

المحور الثالث: التناقضات الوجودية لدى المُستعمَر؛ الشعور بضرورة إتخاذ بعض الإعتبارات الموجودة في السياق الإستعماري وذلك من أجل الحفاظ على المصلحة الشخصية، ولكن دون التخلّي عن الهوية الوطنية والثقافية، مقارنةً مع بقية الشعب الفلسطيني في الضفة.

يتضح من خلال المحاور السابقة؛ أن الشباب الفلسطيني العامل يعيش حالة من التذبذب، والتأرجح ما بين حاجته لتحقيق متطلبات ظروفه المعيشية، وما بين حاجته لمسايرة الظرف الإستعماري الذي يقبع أسفله. وفي نفس الوقت، شعوره بالإلتزام تجاه ثقافته وهويته الفلسطينية. وبالتالي فإن محاولة فهم ما يحدث لهذا الشباب في ظل الحالة الأستعمارية، يتطلب الدراسة المعمّقة لهذه المحاور من أجل الوصول الى تفسير علمي وهو ما تقوم به الدراسة الحالية .

Abstract :

The subject of Colonial Mentality accounted for the attention of researchers in different periods, and perhaps the most important evidence that Fanon spoke about French colonialism in Algeria at the height of the Algerian revolution, where he was a warrior in the Algerian revolution under French colonialism. Frère as well, which in turn also addressed the issue of colonialism, but from an educational perspective where the persecution of the other in order to achieve the goals and personal interests at the expense of colonial of straightening oppressed.

Accordingly, that Colonialism intellectual, cultural which is largely valid through psychological space is one of the most dangerous forms of colonialism, this kind of colonization has psychological effects in the long run, and more dangerous than political colonialism; Thus the occurrence of that is not taken for inevitably through holding negative stereotypes about the colonizer through direct contact between colonized and colonizer which in turn affects into the cognition of the colonized and that plays role in the formation of stereotypes about the self and the other. (Mestikawi, 2010).

Despite the scarcity of literature that deal with this subject in connection with a focus on trends and ideas of the colonizer, there was not enough literature on the subject of colonial mentality context and the subject still stand-alone. Most studies dealt with communities under the umbrella of post-colonial day. one of the most important examples of this study discourse Orientalist's Edward Said, who is one of the theorists theory of post-colonialism, where Orientalism method of control methods on the east and tighten sovereignty over it and this in light of creating models of a new cultural, through ideas, cultures and history and then reached The relationship between the East and the West is in essence based on control and hegemony. (Said, 1979) while in the Palestinian context the colonial circumstance still persisting, which requires a study of the colonial relationship between colonizer and colonized. This is considered substantial difference between this study and any other study that already studied the

colonial mentality subject under multiculturalism and not, as in this current case, which dealt with the framework of colonial context.

This study delves into impact of colonial mentality on the Palestinian individual human being, and its manifestation on the group level. Here lies a task which is the most important one for humanity, and necessary message in the field of community psychology which aims to find the techniques and methods of liberation of the oppressed people and liberation from suffering under colonial conditions.

For this study, I conducted qualitative interviews with 18 participants from the Palestinian youth workers in Jerusalem as purposefully selected sample. All interviews were tape recorded, transcribed, and submitted to inductive analysis following the techniques of the grounded theory, and this is according to the inductive methodology in qualitative research, which rely primarily on access to the emerging common issues among the participants and then to integrate these issues, which leads to the formation of axes and theoretical concepts of scientific value. (Camek, Rods & Radle. 2007)

The emerging themes as a results has demonstrated as follow:

First: The economical factor (Acceptance defeat as Global project.

Second: The national identity, that there is a clear commitment of the participants towards their Palestinian identity and Arab culture which have lead them into being proud of belonging feelings to their culture.

Third: The existential contradictions, the need to take some of the considerations in the colonial context and in order to maintain a personal interest but without abandoning the national and cultural identity .

The previous themes clarified that Palestinian youth workers are living in a state of volatility and swings between their need to meet the requirements of living conditions, and between their need to keep up the envelope colonial sits below, and at the same time, they felt commitment towards culture and Palestinian identity; therefore the try to understand what happens to this young workers in the colonial situation requires in-depth study of these

themes in order to reach a scientific explanation and this is what the current study is trying to do.

الفهرس

الإهداء .... أ

الشكر والتقدير .... ب

الملخص باللغة العربية .... ت

الملخص باللغة الإنجليزية .... ث

الفصل الأول

المقدمة 1

مشكلة الدراسة 4

اسئلة الدراسة 5

أهمية الدراسة 6

تعريف المصطلحات 7

الفصل الثاني

الخلفية النظرية 8

عناصر الخطاب الإستعماري 33

الفصل الثالث

المنهجية 36

مجتمع الدراسة والعينة 38

الإجراءات وأدوات الدراسة 39

طريقة التحليل 39-45

الفصل الرابع

نتائج الدراسة 46

المحور الأول: استدخال الهزيمة الطبقي 46

المحور الثاني: الهوية الوطنية 53

المحور الثالث: التناقضات الوجودية لدى المُستعمَر 65

الفصل الخامس

مناقشة النتائج 72

الإستنتاجات 78

الأبحاث المستقبلية... 78

المصادر باللغة العربية... 80

المصادر باللغة الإنجليزية 82

الملحق

اسئلة المقابلة 85

<u>**الفصل الأول**</u>

المقدمة:

[من وحي الباحثة: تجربة شخصية على حاجز قلنديا]

أثناء ركوبي الحافلة للعودة إلى المنزل قال لنا السائق بصوت مرتفع: ***"انزلوا هون مش راح أقدر أوصلكم لمكان أقرب يعني وين ما تروحوا حجار."*** في تلك اللحظات أصبح الجميع يتبعثر في كل مكان، بل ويقتطع لنفسه بؤرة صغيرة من الأرض ليضع أقدامه عليها و يهمّ بالهروب، كي لا يصطدم به أيُّ حجر تائه. لوهلة، أدركت أنني وقعت لا شعورياً في شرك الوعي الزائف، وفجأة بدأت تلك الأسئلة تنهال على عقلي الغائب أثناء عبوري حاجز قلنديا: ماذا كان بإستطاعتي أن أفعل؟ أَمِنَ الطبيعي أن أخرج راكضة، خائفة من طلقات الرصاص التي يطلقها جنود الإحتلال، ومن ناحية أخرى أخشى أن يصطدم بي أي حجر تائه؟ ألهذا الحد أصبح بيني وبين أولئك الأطفال الذين يقتربون بلا خوف من الجنود، ويقذفونهم بالحجارة بكل ما أوتوا من قوة فرقٌ كبير؟ ألا لهذا التخبّط الهائل أن يتوقف؟ أن يجعلني أَلفِظ مساحاتي الأخيرة من مساحات الوعي التي لم يُصِبْها العطب، التي استطاعت أن تحيا ببقعة من الوعي الحقيقي في أوج نموها. منذ تلك اللحظة، كان لا بد لي من التشبث بهذا الموقف، بل لا بد لي من أن أفهم ماذا يحدث في نفوس العديد من البشر. فأن تقتطع بؤرة من وعيك الحقيقي بغضّ النظر عن حجمه لأمرٌ جديرٌ بأن يعني لك الكثير؛ فأنت ما زلت بخير نسبياً، بل بإمكانك أن تكون كذلك بشكل كامل، بعيداً عن الإتساخ الذي ينثره فيك ذلك المُستعمِر.

في خضمّ كل هذه الأحداث والتي يظن القارئ من بعيد أنها أحداثٌ ومواقف شخصية، إلا أن من يحاكي التجربة الفلسطينية تحت الإحتلال يجد أن الفلسطينيين أصبحوا لا شعورياً مُحاطين بالسيطرة الإسرائيلية، وأصبحوا يجدون أنفسهم أقلية، وهذا بحدّ ذاته أمرٌ في غاية التعقيد فأصبح الفلسطينيون يسعون جاهدين للإندماج في الثقافة السائدة، ويسعون لتبني الهوية وتجدهم يحاولون

إكتساب أنماط سلوك المُستعمِر، وكما فسّرها كمبرلنغ تجد أن كليهما –الفلسطيني باعتباره مُضطهَد والإسرائيلي باعتباره مُضطهِد– يحاول كلّ منهما إحتواء الآخر دون المساس بالرغبة الكامنة في داخل كلّ منهما في القضاء على الآخر، ودون التواني عن المحاولة المستمّرة لتحقيق هذه الرغبة (كيمبرلنغ،2011). فيعود تفشي أنماط السلوك غير السوي في المجتمعات المقهورة إلى ممارسات العنف والإضطهاد لسلطة الإستبداد إلى أمد طويل، وبغيابها يجب القيام بحملة توعية كاملة في صفوف المجتمع؛ من أجل إزالة آثار العنف ومسبباته من السلوكيات والتصرفات غير السوية من خلال إشاعة مفاهيم التسامح والحب وإحلال مبادئ العدالة والمساواة في المجتمع(الربيعي،2007).

إن الأفراد المُضطهَدين يعانون من ثنائية في الوعي تجاه وجودهم وحقّهم في حياة كريمة وسليمة، و في اتجاه آخر حياتهم في ظلّ مستعمِر يتحكّم بحياتهم ويرسمها كما يشاء، بل ويحدد إتجاهاتهم في الحياة، وقد يصل إلى حدّ التحكّم برغباتهم. ومن هنا، نجدهم يقعون ضحية الهوّة داخل نفسهم البشرية ما بين إتباعِهِم لأنفسِهِم، وما بين خضوعهم وإستسلامهم لما يُفرَض عليهم من قِبَل هذا المُستعمِر من حيث التحكّم في إتجاهاتهم ورغباتهم وحتى إهتماماتهم، وهذه الهوّة قد تجعلهم يقفون حائرين ما بين ذواتهم؛ هل يخضعوا لهذا التحكم أو يتمرّدوا عليه ويسيروا على هدى حقّهم في الوجود وأبسط حقوقهم في الحياة في ظلّ إنسانيتهم المقدسة الكريمة لا أكثر ولا أقل. هذا كلّه يولِّد لديهم خوفاً دفيناً مِن سعيهم تجاه الحريّة والحياة الكريمة وكونه (الخوف) ينبع من أنّ تفكيرهم بالحرية يزيد من وعيهم بالذات، وهذا حتماً يؤدي إلى تفكيرهم فيما يحتاجونه من متطلبات السعي لتحقيق الذات، خاصة إذا وُجِدوا في ظلّ وضع لا يوجد فيه ما يخشَوْنَ خسارته (فريري،2003). ونجد أن الشباب المقدسي العامل يكدّ بالعمل بهدف تحقيق مصالحه وأي شيء يسعى في الوصول إليه، وفي خضم هذا الكدّ الممتزج بالجهد والتعب نجده يسخّر كل ما لديه من إمكانيات للحفاظ على ثبات الوضع الذي يعيش في ظلّه، وعندما نقول ثبات فإن هذا يعني أنهم يقفون حائرين في منتصف هذه المعادلة الظالمة والتي لا يسعهم فيها سوى التشبث بأدنى حقوقهم واختيار الابتعاد عن محاولة التغيير وهو ما ينطبق على واقعهم المُعاش بأكثر من ذلك.

وعليه، من الجدير بالملاحظة والإدراك أن الثقافة العربية باعتبارها ثقافة الأقلية في إسرائيل تحاول أن تنتزع لها مكاناً ما بين الثقافات الأخرى في الدولة، على الرغم من الإختلاف فيما بينها وبين هذه الثقافات، وعلى الرغم أيضاً من عدم إنسجامها مع هذه الثقافات، وحتى تستطيع أن تأخذ هذه المكانة كثقافة مماثلة للثقافات الأخرى في الدولة، لا بد لها أن تنصهر لتصبح جزءاً منها، على الرغم من أن إتجاهات الثقافات الأخرى في الدولة الإسرائيلية تقوم على أسسٍ ومعاييرَ مرفوضة من الثقافة العربية كتبنّي الثقافة الإسرائيلية لإتجاه تهويد القدس. (كيمبرلنغ، 2011). وبالحديث عن التوعية، فإن الفرد المُضطهَد يشعر بأنه يحيا حالة من الإضطهاد والظلم، فيكون شعوره في ظلّ من يسعى لإضطهاده وتدميره بمعنى الكلمة، وحتماً سيدفعه هذا إلى نتيجتين: إما التمسُّك بوعيه وكينونته الحقيقية؛ وإما أن يستسلم لشعوره بأن عالمه يتحطّم وبعدمية كينونته، وما يترتب على ذلك أن هذا الإنسان الراضخ تحت الظلم يتمحور تفكيره حول أن يكون المسؤول عن حياته وأن لا يسمح لأحد بالتحكُّم فيه، أو أن يكون مجرّد مفعول به ويسمح بإستغلاله تحت هذا المُسمّى. من هنا، نجد أن مساحة الوعي الحقيقي التي يُمكن أن يبلورها هذا المُستعمَر بشكل إنتقادي لديه قد تدفعه لأن يعي أكثر الظرف الإقتصادي الذي يحيا في ظلِّه (فريري،2003). وفي حقيقة الأمر قد يظهر هذا مُجتَمِعاً في الحالة الفلسطينية بشكل مختلف حيث أنه وعلى الرغم من أن الشباب المقدسي العامل يتقاسم حياته مع ذلك المستعمِر ويعمل لديه، إلا أنه يعتبر نفسه لا يزال مضطّهَداً من قبل المُستعمِر، فلا يستطيع أن ينسى هويته في أبسط تسمياتها، باقياً في نظر نفسه فلسطينياً مستعمَراً لا يستطيع تغيير واقعه. ومن هنا نستطيع أن نرى خطورة مؤسسة الإستبداد خاصةً إذا نجحت في شلّ طريقة التفكير لدى المُستعمَر ومنعها من الوقوف على أقدامها والوصول إلى أطراف المجتمع الساندة لها، كما تعمل على ترسيخ حالة الشعور بالتهديد المتواصل وعدم الإستقرار في عدم الوعي، ما يجعل الإنسان المقهور في موقف الدفاع الدائم والحذر الشديد من أي شيء يمتُّ بصلة إلى السلطة أو قد يخالف توجهاتها للحفاظ على حياته. (الربيعي،2007).

فَـــــــــــنهج المستعمِر وظلمه وإضطهاده يؤدي بالإنسان المُستعمَر إلى التجرُّد من إنسانيته، ما قد يدفعه إلى تحقير ذاته ويمنحه شعوراً باليأس والإستسلام، أو قد يدفعه إلى المقاومة والنضال للحفاظ على إنسانيته الحقيقية، وخيار المقاومة والنضال هنا يكون نتيجة شعوره بإضطهاد المُستعمِر لذاته ونفسه البشرية التي تحيا في ظل نظام غير عادل لا بل ظالم ومُضطَهِد.(فريري،2003). لذا، إن من الخطأ الفادح قراءة هذا الواقع الإجتماعي بمسلمات فكرية جاهزة تستند إلى الإحتكام إلى مفهوم العقل وحده دون النظر إلى العواطف الكامنة في الذات الإنسانية المقهورة، لإعطاء تفسيرات غير دقيقة لشأن إجتماعي يختلف كلياً عن الشأن السياسي وتفسيراته المضللة عن الواقع الاجتماعي. (الربيعي، 2007). وهو ما تقوم به الدراسة الحالية فيما ينطبق على السياق الفلسطيني الواقع في ظل الظرف الاستعماري .

مشكلة الدراسة:

فيما يتعلق بوضع الفلسطينيين المقدسيين تحت الحكم الإسرائيلي فإنهم يعيشون تداخلات متعدّدة ومختلفة في آن واحد، لا سيما حالة الإنشطار في هويتهمّ الجماعية. وعندما نقول تداخلات؛ فإن هذا يعني أنهم في الوقت الذين يعيشون فيه أوجه تشابه من حيث الآثار النفسية التي تعود عليهم من خلال علاقتهم مع المستعمِر، إلا أنهم في الوقت ذاته يعيشون إختلافات أخرى تعود عليهم بآثار نفسية أخرى؛ فهم ليسوا مواطنين بالدرجة الأولى، وأيضا ًهم يخضعون لسياسة إستعمار مُضطهِد، وما بين هاتين النقطتين تتداخل الكثير من التناقضات التي يعيشونها في تفاصيل علاقتهم الحياتية ما بين كونهم فلسطينيين "وإسرائيليين" في آن واحد. (أغازريان،2010). ولعلّ من أهم الدراسات التي بحثت في أجزاء كثيرة في هذا الصدد دراسة مكاوي عام 2008، والتي بحثت دور الحركة الطلابية الفلسطينية في الداخل لدى فلسطينيي 1948 في بلورة الهوية القومية وإعادة تشكيلها، حيث أن الإنتماء إلى جماعة أقلية ومضطَهِدة يكون له من الأثر السلبي على الحالة النفسية للفرد ما يتراوح بين الإستدخال النفسي للإضطهاد وما بين التمرّد عليه نحو تغييره، ففي سياق فرض مجموعة كأغلبية هيمنتها على مجموعة أقليّة، فإن ذلك لا ينحصر في الهيمنة العسكرية والإقتصادية والسياسية، بل الهيمنة الفكرية والثقافية والأيديولوجية (مكاوي،2008).

وهذه نقطة محورية تمثّل جوهر ما تقوم به الدراسة الحالية، حيث أن هذا النوع من الاستعمار الفكري والثقافي والذي يتبلور بشكل كبير من خلال المساحة النفسية للفرد هو من أخطر أنواع الاستعمار، وبالتالي فإن حدوث ذلك ليس تحصيلاً حاصلاً بشكل حتميّ من خلال حمل أفكار نمطية سلبية عن المستعمِر، حيث أن اتصال المُستعمَر المباشر بالمُستعمِر يؤثر على حيز المستوى الإدراكي والمعرفي لدى المستعمَر، فيلعب دوراً في تكوين الأفكار النمطية عن الذات المُستعمَرة كالخيانة والأنانية وعن المُستعمِر كآخر مثل الذكاء والتنظيم. وحتى في ظل وجود أفكار نمطية إيجابية نحو جماعة المُستعمَر الداخلية، وسلبية نحو جماعة المُستعمِر الخارجية، إلا أن هذا لا يعني معاداة الآخر (المُستعمِر) والنظر إليه بسلبية. (المستكاوي،2007).

يدور البحث المقترح هنا حول الآلية التي يصل المُستعمَر الفلسطيني المقدسي من خلالها الى حالة إستدخال لثقافة وأفكار ونمط حياة المُستعمِر والتماهي معها كأمر إيجابي، على الرغم من تناقضها مع ثقافته الأصلية، فهذا الوضع يعمل على وجود المُستعمِر بشكلٍ منهجيٍّ ومدروس حتى يصل إلى حالة من السيطرة الكاملة على المُستعمَر؛ من خلال أن هذا المُستعمِر يتحكم في طريقة تفكير المُستعمَر ويحددها ويوجهها كما يريد. وبالتالي، تبحث هذه الدراسة الكيفية التي يتم من خلالها إستدخال الشباب الفلسطيني المُستعمَر، لثقافة وأفكار المُستعمِر الذي يعمل لديه وتحديداً في القدس الغربية.

<u>أسئلة الدراسة :</u>

1: ما هي ملامح الواقع الإستعماري في القدس وكيف يتمثّل هذا الواقع في حياة الشباب المقدسي العامل؟

2: كيف تلعب الهويّة الوطنيّة دوراً في الظرف الإستعماري في القدس، وهل تمثّل جزءاً من نظرة الشباب المقدسي لنفسه؟

3: ما هي التناقضات التي يعيشها الشباب المقدسي في ظل الظرف الاستعماري؟

أهمية الدراسة:

تتمثل أهمية الدراسة الحالية في كونها تمثل جزءا ًمهماً من الصحة النفسية لدى الفرد الفلسطيني في القدس من الدرجة الأولى وكذلك جزءا ًلا يتجزأ من الجماعة التي ينتمي لها ذلك الفرد الفلسطيني بالدرجة الثانية. وبالتالي، فهي تتناول موضوعا ًمهماً يؤثر في الإنسان الفلسطيني كفرد، ويعود عليه بآثار نفسية ضمن وجوده في جماعة، وتأثيره أيضا ًفي تلك الجماعة. ففي الوقت الذي يتم فيه اضطهاده في ظل سياق استعماري من خلال اتصاله المباشر مع ذلك المُستعمِر، فإن ذلك يؤدي إلى أن يذوّت اضطهاده ويستدخله كفرد تارةً، وتارةً أخرى فإنه يذوّته ويستدخله حين يمارس اضطهاده على من هو أضعف منه والذي قد يكون فرداً من جماعته. وهنا تكمن مهمّة من أهم مهمات الإنسانية أجمع، ورسالة من أهم رسائل حقل علم النفس المجتمعي وهي إيجاد الوسائل والأساليب التي من خلالها قد يتم تحرير المُضطهدين وتحرير من يعانون معهم(Nelson & Prilleltensky, 2010). إضافة إلى أن أغلب الدراسات كانت إدعاءاتها تدور حول المُستعمِر كآخر إيجابي وجيّد، ونحو المُستعمَر كذات سلبية؛ فنجد أن دراسة المستكاوي عام 1999 تشير أن صورة الإسرائيليين كما يدركها الفلسطينيون تتكون من مجموعة من الأفكار النمطية الإيجابية كالديمقراطية وحب العمل والذكاء والتنظيم، والتي يتساوى عددها مع عدد الأفكار النمطية السلبية التي يتخذها الفلسطينيون عن أنفسهم كالخيانة، الأنانية، الجبن وحب المال والمكر (المستكاوي،2007). ولكن، نادرةٌ هي الدراسات التي كانت تتناول الموضوع بالصورة العكسية؛ أي أنه ليس بالضرورة أن يكون المُستعمَر غير واعٍ لذات المُستعمِر الذي يخضع له على الرغم من عدم قدرته على إيقاف الإضطهاد الذي يتعرض له. إضافةً إلى أن الظرف الإستعماري التي تتناوله الدراسة الحالية لا يزال قائما ً في واقع الشباب المقدسي العامل.

تعريف المصطلحات :

الظرف الاستعماري هو: "حالة يتوفر ضمنها لقاء بين أعراق وثقافات مختلفة، بحيث أنّ هذا اللقاء يتم عندما يكون العرق الغريب والأقل عدداً هو في الحقيقة العِرق المُسيطِر اجتماعياً واقتصادياً، وذلك نتيجة تحكُّمِهِ وسيطرته على مصادر القوة الاجتماعية، الاقتصادية والسياسية. تتحقق هذه السيطرة ويتم تسييرها من خلال القوة العسكرية والتفوق المادي الذي يملكه العنصر المُهيمن." (Jinadu,1976, p.604).

الذهنية الاستعمارية : مصطلح يستخدم للإشارة إلى إستدخال الإضطهاد وأشكال القهر التي تتخلّل الذات المُستعمَرة، ويُستخدم هذا المصطلح على نطاق واسع من قبل علماء الدراسات العرقية، وهو أمر أساسي لفهم الإستعمار والقمع في البحوث النفسية، مع العلم أنه لا يوجد تعريف واضح للذهنية الاستعمارية حيث لا بد من العودة إلى السياق الذي يتضمن الظرف الإستعماري بخصوصيته حتى يتم فهم المصطلح بشكل جيّد (David & Okzaki,2006).

الفصل الثاني

الخلفية النظرية:

لقد تعددت الدراسات والأبحاث التي تناولت موضوع عقلية المُستعمَر والظرف الإستعماري، وقد استمدّ هذا التعدّد إختلافه من خلال الإختلاف بين مسمّيات الظرف الإستعماري نفسه، وفقاً للسياق الذي يتضمنه. لذا، لم يكن هناك تعريفٌ واضحٌ للحالة الإستعمارية أو الظرف الإستعماري، ولعلّ من أهم التعريفات التي وضحت الظرف الإستعماري كمفهوم، تعريف جينادو الذي إرتكز في تعريفه للظرف الإستعماري على إطلاعه على قراءات فانون المرتبطة بموضوع اللغة والإستعمار، لا سيما وأن اللغة أحد تجليات الظرف الإستعماري. يشير جينادو بدوره أن الظرف الإستعماري هو: "حالة يتوفر ضمنها لقاء بين أعراق وثقافات مختلفة، بحيث أنّ هذا اللقاء يتم عندما يكون العرق الغريب والأقل عدداً هو في الحقيقة العِرق المُسيطِر إجتماعياً وإقتصادياً، وذلك نتيجة تحكّمِهِ وسيطرته على مصادر القوة الإجتماعية، الإقتصادية والسياسية. تتحقق هذه السيطرة ويتم تسييرها من خلال القوة العسكرية والتفوق المادي الذي يملكه العنصر المُهيمن."(Jinadu,1976, p.604) . ومن هنا نلاحظ أن الإستعمار هو حالة مادية يتم فيها الإستيلاء على أرض الآخرين أولاً ومن ثم التغلغل في ثقافة ولغة تلك الجماعة التي يتم إستعمارها.

وعليه، بعد أن يتم الإستيلاء على الأرض يأتي دور العرق والثقافة اللذين يُعتبران أمران مرتبطان بالحالة الإستعمارية، وهو ما يجعل التطرّق للهويَة الجماعية لدى المُستعمَر أمراً مهماً؛ حيث أنّ هناك علاقة بين الإستعمار وبين الهويّة العرقية والوطنية للشعوب المُستعمَرة. (David, Okazaki & Nadal, 2011). وكما أشار معلوف في حديثه عن الهويّة أنّ كل حدث يمرّ به

الإنسان من أحداث ومواقف سواء كانت مفرحة أو مؤلمة لا بدّ لها و أن تؤثر على إدراكه لهويته أكثر مما يؤثر عليه إنتماؤه العرقي. فعلى سبيل المثال، لا تُعتبر الهويّة من المسلّمات فهي ليست ثابتة بل تتغيّر وتتحوّل بتغيُّر وتحوُّل الوقت؛ فالهويّة التي تمثّل الدين عند البعض قد تمثِّل الأمة أو الطبقة عند البعض الآخر. وكلّ هذا لا يعني بألّا يقوم الإنسان باختبار هويّته، فلا يتعارض هذا الأمر مع الإختلافات بين البشر؛ فالحياة دائماً تولِّد إختلافات، وليس بالضرورة أن تكون الهويّة متطابقة للأشخاص بل على العكس حيث من الممكن أن يتمتع كل شخص بهويّة مستقلّة وبشخصيّة مركبّة وهذا ما يميّز هذه الهويّة المختلفة والمركبّة والمعقدة؛ فالبشر دائماً مختلفون وهوية كل منهم تتكون من إنتماءاته(معلوف،1999). ولعلّ هذا الطرح في الحالة الفلسطينية يقود إلى تساؤل يفرض نفسه بإلحاح؛ ماذا يتوقع العالم من شعبٍ خاضع للإستعمار ويُهاجَم لمحوْ هويّته وكينونته؟ بل كيف يُمكن أن يتعايش مع حالة إستعمارية يخلقها مُستعمِر يفرض هويّته ببنية معقّدة كما يراها هو مما يُنتج التناحر ما بين هويتيّن كل منهما تحاول إثبات نفسها.

فإمكانية أن تتأثر الهوية العرقية بالذهنية الإستعمارية كبيرة، لا سيما وأن الإضطهاد التاريخي والمعاصر يُصيب مناحي حياة المضطَهَدْ المختلفة وخاصة من خلال الوالدين والأقارب الذين قاموا مسبقاً باستدخال الإضطهاد؛ وهو ما حدث مع الأقلية الفلبينية في الولايات المتحدة الذين إستدخلوا الذهنية الاستعمارية الأمريكية. فالعقلية الاستعمارية قد تُدمِّر حاسة الإنتماء لدى الفرد المضطَهَد نحو جماعته الأصلية، وهو ما يجعله غير قادرٍ على الإندماج مع أفراد جماعته الأصلية أو أن ينال الإنتماء إليهم. وعليه، فإن قلّة مشاركته في ثقافته أو في أي أحداث تخصّ جماعته، تُكسبه قلّة الاهتمام لمن هم من نفس ثقافته إلى درجة عدم إحترامهم؛ وذلك لأن الشخص الذي ذوّت وإستدخل الإضطهاد يصبح بعيداً عن قيمه وقيم ثقافته وهويته؛ ما بدوره يجعله يُهمَّش أفراداً من جماعته الأصلية، ويعزز لديه الإتجاهات السلبية التي يحملها تجاه أفراد جماعته. وبالتالي، فإن الإتساق مع العقلية الإستعمارية يجعل الشخص المضطَهَدْ والذي إستدخل الإضطهاد يلتصق ويمتثل مع الثقافة الاستعمارية، وهذا بدوره يُصَعِّب من حدوث تطور الهوية الإثنية والوطنية في المراحل المختلفة لدى الشخص المضطَهَدْ. لذا، فإن للذهنية الاستعمارية الدور الأكبر في فقدان

الشعور الجمعي تجاه الجماعة الأصلية من قبَل الفرد المضطَهَدْ. إضافةَ إلى أنها تفقده أيضاً الدعم الإجتماعي الإيجابي والذي يمكن أن يعتمد عليه من قبل الشبكات الإجتماعية المحيطة به، مما يؤثر على الهوية العرقية التي بدورها قد تؤثر على الصحة النفسية للمضطَهَدْ وسلوكياته. ((David, Okazaki & Nadal,2011

وبقرائتنا لما أشار له لورسن في كتابه الهويات الاستبدادية عندما تحدّث عن العرق بين الجماعات في دولة الاستعمار، نجده وضّح أنّ الاندماج والانصهار بين أي عرقين أو هويتّين مختلفتين موجودتين في ظلّ دولة الاستعمار الواحدة هو أمرٌ لا بد منه، على الرغم من مقاومة كليهما لهذا الإندماج، ولكن، هذا أمرٌ مفروض بطبيعة الحال. وكما أشار فإن هذا الإندماج ليس بالضرورة أن يعود بالإيجابية على أطراف العلاقة، حيث أن العرق الأعلى منزلة والذي يمثّل بطبيعة الحال ثقافة المُستعمِر لا يعود اندماجه مع العرق الأدنى منه منزلة والذي يمثّل ثقافة المُستعمَر بالإيجابية، بينما العرق الأدنى منزلة يدفع ثمن هذا الإندماج بفقدان سماته الأصلية. (Lorcin,1995). لذا، أينما تجاورت اليوم جماعات بشرية تختلف عن بعضها البعض من جهة الدين أو اللغة أو اللون، لا بد وأن يوجد عدد من الرجال والنساء يحملون في أعماقهم إنتماءات متناقضة ويعيشون على خط التماس بين جماعتين متناحرتين، أشخاص تخترقهم نوعاً ما تصدعات إثنية أو دينية وسواها (معلوف،1999). هذا دون إغفال أن الاستعمار يمثل علاقة قوة في أساسه.

وبما أن ثقافة المُستعمِر تصبح الثقافة البديلة للمُستعمَر فيذوّتها ويستدخلها مكان ثقافته الأصلية؛ فإن هذا يؤدي إلى حدوث إستدخال ملحوظ وكبير على ذات المُستعمَر التي بدورها تُشكلّ ثقافته المتمثلة بهويّته وعواطفه ومشاعره. وهذا ما توصل له فانون عام 1963 من خلال تحليل الإستعمار الفرنسي في الجزائر، فما يحدث هو تعظيم لتاريخ وثقافة المُستعمِر من قبل المُستعمَر، وهذا بدوره يؤدي إلى تقدير وتصوير ذاتي سلبي لدى المُستعمَر؛ فيصبح المُستعمِر مثلاً يُحتذى به، بينما ينظر المُستعمَر الى نفسه بشكل مُهين. (Fanon, 1963). حيث يُمنهج المُستعمِر عملية إستعماره لذات المُستعمَر من خلال وضعه الشكليّة التي ينبغي أن يظهر من خلالها أمام

المُستعمَر، فيجب أن يرى المستعمَر نفسه مثالاً للضعف في ظلّ شعوره بعقدة النقص؛ وهو ما يجعله تدريجياً يتقبّل وضعه الإستعماري ويتعايش معه، وهذا أمر في غاية الأهمية لإرتباطه بمسألة الهويّة الجماعية، حيث أنه و بهذه الطريقة تصبح الهويّة العرقية لدى المستعمَر متمثلة بمجموعة من العواطف السلبية التي يحملها عن نفسه وعن أبناء شعبه. (Diaz&Garcia, 2003) وهذه بدورها تتمثل في الهوية الوطنية لدى الحالة الفلسطينية.

وهذا يرتبط بإنكار المستعمَر لذاته، فالفرد الذي لا شخصية له ولا أصالة عنده، والتابع الذي لا قيمة له يقوم دائماً بتعويض نفسه عن طريق التقرب والتظاهر والتقليد وعن طريق إلغاء نفسه وكل ما هو منسوب إلى نفسه وإنكارها وتحقيرها، والفرار من كل ما يذكّره بنفسه وبماضيه. وعن طريق التشبه بالآخرين يبحث لنفسه عن شخصية جديدة، وصفات جديدة وقيم جديدة. وبالتالي هذا يساعد الاستعمار بأن لا يفعل شيئاً لا سيما وأنه نجح في إيصال المُستعمَر لمرحلة لا يريد بعدها أن يعرف شيئاَ عن تاريخه وماضيه، ويصبح لائذاً بالإستعمار، ويؤمن له كل ما يحتاجه لفرض سيطرته، وهذا ما وضحته إيما سيزر وسوردل في توضيح العلاقة الثقافية والإنسانية ما بين المستعمِر والمستعمَر. (شريعتي،2004) وبالتالي فإن وصول المستعمَر إلى مرحلة التمييز بين أفراد جماعته المضطَهَدة والجماعة المُضطَهِدة تمثّل فرصة كبيرة للإستعمار؛ لأنه من غير الممكن أن تستعبد جماعة معينة دون أن تشعر بشكل منطقي بالنقص واللاقيمة. لذا، فإن التمييز بين الجماعتين يمثّل عاملاً عاطفياً، وهو أسلوب ذكي لكي تجعل أحداً ما يشعر بالذلّ والوضاعة. (Hook, 2012)

إن سياسة القمع التي يستخدمها المُستعمِر من أجل قمع المُستعمَر تصبح جزءاً من حياة هذا المُستعمَر، وتظهر آثارها عليه بخلق هوية جديدة لهذا الأخير، وما يميز هذه الهوية هو تجاذبها ما بين هويته على المستوى الفردي التي تقوم على كينونته وشخصيته الأصلية، وما بين المستوى الجماعي التي تقوم على أساس ما يُفرَض عليه وما يُحتّمه وجوده تحت الإستعمار من تقبُّل لذهنية المُستعمِر والتعايش معه. (Fanon, 1963).

من ناحية أخرى، لقد إختلف ما جاء به فانون في الفقرة السابقة مع غيره في موضوع إخفاء الذهنية الإستعمارية؛ فقد أظهر ديفيد ونادال من خلال دراستهما للعلاقة ما بين العقلية الإستعمارية الخفيّة والصحة النفسية على الأقلية الفلبينية في الولايات المتحدة، أظهرا بأن إستدخال الإضطهاد في بعض المجتمعات قد يزيد من إمكانية إستدخال الفرد المضطَهَد للذهنية الإستعمارية، ولكن ليس بالضرورة أن يشعر الشخص بالعار كونه من الثقافة الأضعف أو كونه المُضطَهَد، وهو ما كان موجوداً لدى بعض الفلبينيين في أمريكا الذين ساروا بأنفسهم نحو الأمركة؛ وذلك لأن طبيعة الواقع الإستعماري تفرض عليه حاجةً للبقاء وضرورة التأقلم وحفاظه على ثباته وثبات لقمة عيشه، مُضطرّاً لقبول الواقع لعدم وجود بديل. فنجد أن الأقلية الفلبينية في الولايات المتحدة أظهرت افتخاراً كبيراً تجاه تراثها وهويتها الثقافية، ولم يكن لديها ما يقلقها تجاه صحتها النفسية. مما يعني أن الإفتراضات المختلفة في الذهنية الإستعمارية لها تأثيرات مختلفة تعود على الصحة النفسية للمضطَهَد، وهو ما يفسِّر افتراض أغلب الأبحاث الذي يقول، بل ويؤكد على وجود مفاهيم خفّية للذهنية الإستعمارية، والتي بدورها ترتبط بالصحة النفسية أكثر من إرتباطها بالذهنية الإستعمارية ومفاهيمها. ولعلّ من أكثر الأمثلة الحية على ذلك ما قام به ديفيد عام 2010؛ حيث وجد أن الذهنية الإستعمارية تقوم على التعديل (التوسط) ما بين الذهنية الإستعمارية العلنية وأعراض الإكتئاب، وهو ما بدا على الأقلية الفلبينية في الولايات المتحدة الذين استدخلوا مظاهر العقلية الاستعمارية بشكل علني؛ كالتمييز العنصري من قبَلِهم نحو من هُمْ من نفس ثقافتهم، أو كالرغبة في الظهور مثل الأمريكان البيض؛ وهو ما يرتبط بمظاهر العقلية الإستعمارية الخفية كالشعور بالنقص والعار، والخجل من الثقافة أو التراث الذي يخص الفلبينيين. الأمر الذي يجعلهم يميلون لإختبار المزيد من الأعراض الإكتئابية. (David, Okazaki & Nadal, 2011).

وبالتالي، فإن إنصهار الأعراق ما بين العرق السائد والآخر ذو المنزلة الأدنى، لا بد أن يحدث في ظل توسط أحد العرقين عملية الإنصهار ما بين الأعراق المختلفة، على حساب تهميش العرق الآخر الأدنى منزلة. وهو ما يحدث تماماً في الظرف الإستعماري؛ حيث يوجد عرقين مختلفين يسعى كلّ منهما إلى الإنسجام مع منظومة المجتمع الجديدة التي تكونت في الظرف الإستعماري.

وبالتالي، فإن تشكيل هوية جماعية جديدة يتم فقط من خلال سيطرة إحدى الجماعتين على الأخرى، وخاصة من خلال إستخدام القوة وفي ظلِّ إلغاء المعتقدات والقيم الإنسانية في المجتمع الآخر. وعليه، فإن إستخدام الصور المُهَيْمَنْ عليها تتمركز في عملية تشكيل هوية جديدة، أي تصنيف جديد وبدوره يضاعف الوعي بفكرة أنا والآخر نحو الإتجاه إلى الوعي بفكرة نحن وهُمْ، حيث أن الثنائية في الأفكار النمطية التي يتم إستخدامها في خلق هوية جديدة مزيفّة لدى أفراد الجماعة الأصلية تؤدي إلى التشبّث بالصورة الإيجابية عن الآخر ورفض أي صورة سلبية عنه. وهذا يجعل من عملية خلق الأفكار المنطقية المختلفة خطوة مهمة في حدوث عملية التمييز العرقي لاحقاً. (Lorcin,1995)وهذا ينطبق على الأقلية الفلبينية في أمريكا؛ حيث لم تظهر لديها آثار سلبية فيما يتعلق بالصحة النفسية. وبالتالي؛ فإن إستدخالهم للذهنية الإستعمارية العلنية ليس بسبب شعورهم بالعار والخجل من ثقافتهم، بل بسبب الضغط الداخلي الذي يشعرون به نظراً لمحاولتهم التأقلم مع التيار الإستعماري الذين يعيشون تحت ظرفه. الأمر الذي يجعل من جهودهم ونجاحهم في التأقلم مع ما هو سائد في الظرف الإستعماري وسيلة تقودهم نحو حالات من التمييز العنصري والتهميش لأفراد جماعتهم الأصلية.(David, Okazaki & Nadal, 2011)

وقد أكدّ على هذا كل من إدواردو وبوني فيما يتعلق بإستدخال الإضطهاد، حيث أنه عندما يتم الإعتداء أو تعريض جماعة معينة إلى إبادة جماعية فهذا يؤدي إلى تشعّبات نفسية، حيث أن فَقْدْ الضحيّة المستمر لقوتها يجعلها تشعر باليأس، إضافة إلى أن ردة الفعل النفسية تسبب إستدخالاً للقوة الحقيقية الوهمية التي تعتقد الضحيّة أنها ما زالت تمتلكها، والتي تكون بمثابة قوة المستعمِر نفسه. وعليه، فإن عملية إستدخال الإضطهاد تبدأ عند الشروع في إستدخال المضطَهِد للقوة الوهمية التي يعتقد المُضطَهد بأنه يمتلكها. لذا فإن تقدير الذات لدى الفرد المضطَهَد أو الجماعة المضطهَدة لا بدّ أن يصل إلى مرحلة اليأس؛ لكي يعادل حجم كراهية النفس التي يصبح عليها المضطهَد؛ حيث يبدأ بإحتقار نفسه. وطبعاً كراهية النفس هذه يمكن تجنّبها عندما يتم إستدخال المضطهد لكراهيته لنفسه، وهنا لا بدّ من توقع مستوى معين من العنف المحلي الذي سيصبح موجوداً في المجتمع بشكل لا نظير له. ولعل أهم ما يميز هذا العنف هو أنه يتم توجيهه من قبل

الشخص المضطهَد إلى نفس أفراد جماعته المضطهَدين وليس نحو المضطهِد، وأن السبب لهذا العنف يكون نتيجة تراكم حجم كبير من الغضب والقهر وهو ما يؤدي بالشخص بأن يفرغه في شخص ضعيف مسلوب القوة. ولكن على الرغم من أن هذا العنف في أساسه موجّهٌ إلى المضطهِد، إلا أنّ الفعل الحقيقي لذلك يترتب عليه نتيجة أقسى، تتمثل بإنتقام سريع من المضطهِد نحو المضطهَد. وعليه، فإن العدوان هنا ينتج لهدف مزدوج، وبالتالي فان المضطَهَد عندما يرتكب هذا العدوان تجاه من هو أضعف منه من المضطهَدين يجعله يأخذ قدراً متنفساً لغضبه وقهره. ولكن في نفس الوقت يدمر جزءاً آخر منه، وبالتالي إحساسه بأن جزءاً منه يتدمّر يجعله أيضا يتذكر مدى ضعفه وقلة الأمل في الخلاص، مع العلم بأن هذا الشخص المضطَهَدْ الذي يقوم بذلك قد لا يكون واعياً تماما لما يقوم به .(Eduardo & Bonnie, 1995)

إن ما سبق ذكره يرتبط بنظرية العقلية الإستعمارية الخفيّة؛ حيث أن إستدخال الذهنية الإستعمارية بشكل خفي تتم قيادته من خلال عوامل خارجية على الفرد؛ بمعنى أن تجربة الفرد في الإضطهاد والتي بدورها تُعتَبر عاملاً خارجياً، قد تقود إلى تطوّر مشاعر الشعور بالنقص والعار والخجل تجاه الثقافة والهوية لدى المُستعمَرين والتي بدورها تمثل مظاهر الذهنية الإستعمارية الخفيّة. وعليه، فإن تطور الذهنية الإستعمارية بشكل خفي، من شأنه أن يخلق رغبة داخلية لدى الفرد المضَطَهد ليطور الذهنية الإستعمارية على نحو علني. ومثال ذلك: تغيير الصفات الشخصية لدى الفرد والتميز العنصري تجاه الأفراد الذين لم يأخذوا بأنفسهم تجاه الثقافة الأمريكية كالأقلية الفلبينية التي إستدخلت مظاهر الذهنية الاستعمارية بشكل علني. (David, Okazaki & Nadal, 2011) ولو نظرنا إلى الحالة الفلسطينية سنجد أن هناك بعض الفئات المعينة في ظلّ السياق الإستعماري في القدس ممن يتمتعون بإمتيازات دولة إسرائيل الإستعمارية كحمل الجنسية، والفرق بين فلسطينيي الداخل وفلسطينيي القدس على سبيل المثال، وبالتالي فإن هذه النقطة تتسم بتشابه بين ما حدث مع الأقلية الفلبينية وبين ما يحدث في الحاضر مع بعض الفلسطينيين، (ما يعرف بـــــِ عرب 48 وعرب 67، حيث عرب ال 48 يحملون الجنسية الإسرائيلية ويتمتعون بامتيازات معينة مثل فرص العمل والتعليم ومستوى الحياة وتسهيلات يحصلون عليها في حال السفر

والإقامة على عكس عرب ال 67 الذين لا يتمتعون بهذه الإمتيازات.) ومن ثم تأتي إمتيازات اليهود أنفسهم التي تفوق إمتيازات عرب ال 48 وغيرهم، بالإضافة إلى عدم وجود ما يهدد هوية الإسرائيلي في حال غاب لفترات طويلة فلا يفقد حقّه في الإقامة. لذا، فإن الذهنية الإستعمارية العلنية يتم إستدخالها بشكل أولي من خلال عوامل داخلية لدى الفرد وهو بدوره يطور الذهنية الإستعمارية بشكل علني لاحق وناتج عن الذهنية الإستعمارية الخفّية، إلا أن هناك بعضاً من الأدلة العلمية التي أشارت إلى تطور الذهنية الإستعمارية الخفّية من خلال الذهنية الاستعمارية العلنية أي بشكلٍ معاكس. (David, Okazaki & Nadal, 2011)

من ناحية أخرى، قد تتطور الذهنيّة الإستعمارية العلنية نتيجة عوامل خارجية لدى الفرد كتجربته في الإضطهاد، حيث أن الأفراد الذين يشتركون بملاحظة أو رؤية أفراد آخرين يعانون من التمييز العنصري ضدهم أو يتم الإستهزاء بهم –وهو ما يسمى بِـــ التعلّم غير المباشر– قد يؤدي إلى إستدخال مظاهر علنية للذهنية الاستعمارية؛ كالفرد الذي يريد أن يتصف بصفات الآخر من الثقافة المهيمنة أو من خلال اللغة. (David, Okazaki & Nadal, 2011) وهو ما يحدث من خلال تجربة الإستعمار نفسها وليس من خلال النظام الإستعماري؛ أي أن تجربة الإستعمار بكل ما فيها من معاناة تؤدي إلى إذلال السلوك لدى المُستعمَر، و على الأخص من خلال صور معينة لوجه المستعمِر وأخرى للمُستعمَر، وبهذا يظهر كيف أن المستعمَر والمستعمِر يشاركون في النظام الإستعماري لكي يخلقوا علاقة ثنائية لكل منهما مع الآخر. ولعلّ أكثر ما عبّر عن ذلك نظرية سلوك الفرد المستعمَر، وهو ما يتعلّق بالصور التي تعود لوجه المستعمِر، هل فعلاً المستعمِر موجود في الواقع؟ ومن هنا، فإن المستعمِر موجود ويظهر من خلال أفعاله الإضطهادية؛ وبالتالي مهما فعل المستعمِر من أمور إيجابية إلا أنه يبقى مستعمِراً، فلا يوجد مستعمِر جيد ولا مستعمِر سيئ، لا سيما وأننا نتكلم عن إستعمار ونظام إستعماري يعمل بالأساس على خلق مستعمَر يمجّد إستعماره، وهو ما يجعل المستعمَر لاحقاً مثقلاً بالمسؤوليات التي يعطيها له الإستعمار، بحجة أن النظام الإستعماري يحتوي على عدة حوافز ومميزات تجعله يشعر بأنه يمكن أن يستفيد منها، مع العلم أنها بشكل أولي تخدم النظام الإستعماري وإستمراريته. وعليه، فإن أية مقاومة من قبل

المستعمَر نحو النظام، أو أية عملية وعي من قبَلِه من شأنها أن تجعل المستعمِر أكثر استبداداً. (Khanna, 2003) ونرى هذا في الحالة الفلسطينية من خلال حالة الإذلال وحالة الهمجية في التعامل، والسيطرة التي يتعرض لها الإنسان الفلسطيني الذي يضطر لتحمّل الضغط الهائل بكل ما فيه، كمروره عن المعبر، فنجده عندما يصل الغضب إلى قمته لا يفرِّغ غضبه تجاه الجنود الذين يتفننّون في إذلاله وتأخيره وتعقيد أمور حياته، بل على العكس نجده قد يفرِّغ غضبه على إنسان فلسطيني بجانبه يحاول المرور قبله أو حتى لمجرّد أنه رفع صوته على الجنود معترضاً على تأخيرهم له، فيصب غضبه عليه بحجة أن صوته العالي على الجنود قد يتسبب بتأخيرهم لفتره أطول.

وفي هذا السياق أشار شريعتي إلى العلاقة ما بين المُستعمِر والمُستعمَر، فوصفها بأنها علاقة أصدق ما توصف به أنها علاقة وهميّة، حيث أنها أقرب ما تكون إلى العلاقة ما بين التابع والمتبوع، فالمُستعمِر دوره يقوم على امتصاص وتقبُّل وأخذ ما يقدّمه له المُستعمَر ودوره القائم على ضرورة العمل والكدّ والجهد كونه الطرف الأضعف في هذه العلاقة التي تكون دائما ً نتيجتها لصالح الطرف الأقوى المُستعمِر. (شريعتي،2004) لا سيما وأن العلاقات بين المستعمِر والمستعمَر هي علاقات جماعة بجماعة؛ فالمستعمِر يقاوم كثرة العدد بكثرة القوة وإهتمامه بسلامته يذكِّر المستعمَر بأنه هنا السيد. (Fanon,1963) ولعلّنا نجد هذا يتفسّر بالسياق الفلسطيني المقدسي بأنه في أغلب الأحيان يرضى الشباب المقدسي الفلسطيني بأن يعمل أي عمل، وذلك بعكس الإسرائيلي المُستعمِر الذي يرفض بأن يعمل في أعمال لا تليق بمكانته فيلجأ إلى إشغال الفلسطيني بها.

بالرغم من ذلك، قد يشعر هؤلاء الأشخاص في نفس الوقت بالإفتخار لثقافتهم؛ بمعنى أنهم ظاهرياً يُظهِرون جانباً واحداً من سلوكهم (إستدخال علني للذهنية الإستعمارية) ولكن، داخلياً يمتلكون مجموعة مختلفة من التوجهات. لذا، فإن الأفراد ليسوا بحاجة إلى تطوير مظاهر خفيّة للذهنية الاستعمارية قبل أن يطوّروا مظاهر الذهنية الإستعمارية بشكل علني. وعوضاً على ما سبق، قد يطوِّر الأفراد ذهنية إستعمارية علنية بدون تطوير ذهنية إستعمارية خفية، أي دون الحاجة لأن

يكون لديهم سلوكيات خفية بناءً على عوامل داخلية لدى الفرد، ولكنّ هذا لا يعني في نفس الوقت عدم وجود سلوكيات علنية لديهم نتيجة عوامل خارجية؛ كالحاجة إلى تجنّب الضغط تحت الظرف الإستعماري والاتجاه نحو التأقلم مع ثقافة التيار الإستعماري الموجود. (David Okazaki & Nadal,2011) وهذا في غاية الأهمية؛ حيث أن مقاومة الصور النمطية تلعب دوراً في التأثير على شكل العلاقة ما بين المستعمَرْ والمُستعمِرْ؛ فالحاجة للشعور بالأمان تخلق بدورها الحاجة للتركيز على كل ما يضمن الوصول إلى النقاط الإيجابية التي قد يسعى إليها أحد الأطراف في العلاقة الإستعمارية، وهو ما يمكن في نفس الوقت إستغلاله لخلق علاقة إنسجامية ما بين المستعمَرْ والمُستعمِرْ. (Lorcin,1995)

حيث قد يحاول المستعمَر أن يقنع نفسه بأن الإستعمار لا وجود له، وأن جميع الأمور تجري كما كانت تجري في الماضي وأن التاريخ يستمر، لذا فهناك وسيلة يعمد إليها المستعمَر من أجل أن لا يعبأ بالمستعمِر، وهي الدين؛ فبواسطة الإيمان بالقدر يجرد المضطَهِد من المسؤولية بإعتبار أن الله على كل شيء قدير، فهو الذي أراد هذه الآلام وهذا البؤس وهو الذي رسم هذا المصير، وهكذا يخضع للمستعمِر مذعناً للقضاء والقدر ويصل من ذلك بنوع من تحقيق التوازن النفسي. (Fanon,1963) ومن ناحية، من المهم أن لا يتم نسيان أنه من غير الممكن أن لا يكون لدى المستعمَر إمكانية لتحرير نفسه، لا سيما إن كان غير مُسيطَرٍ عليه من قبل النظام الإستعماري. فعلى سبيل المثال، إن العامل المشترك ما بين الأقلية الفلبينية في الولايات المتحدة والحالة الفلسطينية هو طريقة إختيار الحياة تحت الظرف الإستعماري بغض النظر عن نوعه. ومن هنا فإن الفرق ما بين الغموض والتناقض يكون بأن الغموض ينبع من داخل الفرد تجاه الشيء الخارجي، وهو يرتبط بالعلاقة التي تعتبر أن وجود الفرد من أجله هو، وليس من أجل شيء آخر، بينما التناقض يفترض الصراع مع الآخر وهذا بدوره يفسر أنانية وإستبداد الأنظمة السياسية بحدّ ذاتها.(Khanna, 2003)

إن ما سبق يرتبط بأثره على الصحة النفسية؛ حيث أن النتائج تفترض أن الذهنية الإستعمارية العلنية من خلال عوامل داخلية قد تعود بشكل سلبي على الصحة النفسية للفرد. بينما العوامل

الخارجية التي تتم قيادتها من خلال إستدخال الذهنية العقلية العلنيّة من تلقاء نفسها قد لا تعود بآثار سلبية على الصحة النفسية. إن إستدخال الذهنيّة الإستعمارية بشكل علنيّ قد يكون بمثابة عامل حماية ضدّ المقلقات التي قد تصيب الصحة النفسية للمضطَهَد؛ وهذا يعني أن الأفراد قد يُظهروا مظاهر علنية من الذهنية الإستعمارية ليس بسبب إستدخالهم لمظاهر خفية لها، بل بسبب السلوكيات المكتسبة من خلال التعلم غير المباشر، وهو ما يمثل بإعتقادهم إمكانية وفرصة للتأقلم مع التيار ما يمثِّل الأفضل لهم. و هذا يفسر أن بعض الأشخاص من الأقلية الفلبينية الذين استدخلوا نظام الاستعمار الأمريكي قد يطلقون النكات أو يستهزئون من بعض الفلبينيين الآخرين الذين يعودون لنفس جماعتهم؛ حيث يعتقدون أن هذا يجعلهم مقبولين لدى أفراد الجماعة المضطَهِدة.(David, Okazaki & Nadal,2011).

وهذا يوضح كيف يمكن لمظاهر العقلية الإستعمارية العلنية أن تكون عامل حماية ضد الإكتئاب؛ لأن الأفراد الذين لديهم عوامل خارجية مبنية على مظاهر العقلية الإستعمارية العلنية، من الممكن أن يتم إختراقها من قبل الثقافة الأخرى، ومثل هؤلاء أقل إحتمالية لأن يختبروا الإضطهاد الذي قد يؤثر بشكل سلبي على صحتهم النفسية. ومن ناحية أخرى، فإن الأفراد الذين لديهم عوامل خارجية مبنية على العقلية الذهنية العلنية قد يستدخلوا الرسائل المضطَهِدة التي تتعلق بثقافتهم، ومثل هؤلاء تبدأ لديهم التناقضات ما بين سلوكياتهم ومشاعرهم، وهو ما جاء في نظرية (التنافر المعرفي) والتي تشير إلى أنه من الأسهل أن يتم تغيير إتجاهات الفرد عوضاً عن تغيير سلوكياته؛ بمعنى أن الأفراد الذين لديهم المظاهر الخارجية للعقلية الإستعمارية العلنية من الممكن أن يتم تغيير إتجاهاتهم ومشاعرهم، أي أن يطوّروا مظاهر خفية للعقلية الإستعمارية كمشاعر الشعور بالنقص والعار لدى بعض المُستعمَرين من الأقلية الفلبينية في الولايات المتحدة، لكي يجعلهم ذلك أكثر إتساقاً مع سلوكياتهم. ولكن هذا لا يعني بأن التمسّك بمظاهر العقلية الإستعمارية العلنية لا يكون ضاراً على المجتمع، بالإضافة إلى أن السلوكيات المبنية عليها قد تعود بالآثار السلبية على الأجيال القادمة التي تشاهد السلوكيات المضادة والمخالفة لثقافتهم وجماعتهم المضطَهَدة. ولاحقاً، قد يتطور لديهم ذلك على نحو مظاهر خفية للذهنية الإستعمارية من خلال

مشاعر الشعور بالنقص والخجل والعار لكونهم أقلية فلبينية. (David, Okazaki & Nadal, 2011)

في حقيقة الأمر، لا تتوقف الذهنية الإستعمارية على إستدخال المشاعر السابقة من قبل المستعمَر، بل قد تتعدى آثارها وجود نزعة العنف والعدوان لدى أفراد الجماعة المضهَدة؛ حيث أن أول خطورة يترتب عليها العدوان أو العنف الذي يقوم المضطَهَدْ بإرتكابه هو إستدخاله لشخصية المضطَهِد شيئاً فشيئاً، وبشكل متكامل في شخصيته وبطريقة لا يكون قادراً على تمييز ذلك بين الجزئية المضطهَدة في شخصيته والجزئية الحقيقية الأخرى في نفس شخصيته. وبالتالي فإن هذا التكامل بين شخصية المضطهِد و المضطَهَدْ لا يحدث بين عشيّة وضحاها، بل بشكل منظم ومنهجيّ ومتشابك يتم تناقله بين الأجيال. لذا، فإن هذا الإنكار المتأصل لدى المستعمَر يجعله يحاصر نفسه في الإغتراب، لا سيما في ظلِّ أفعاله المتكررة التي ترسخ لديه الشعور بالذنب وشعوره بعدم كينونته. في حين أنه قد تبدأ هنا عملية الضغط الثقافي، والتي تتمثل بالشعور بالضغوطات المختلفة من خلال عملية التثاقف مع الآخر؛ وبناءً عليه، يفسّر هذا سبب حدوث **اضطراب ما بعد الصدمة بين الأجيال؛** فقد طور الباحثان إدواردو وبوني عدة مراحل له وفقاً لما قد يظهر على الأجيال المتعاقبة بناءاً على إستدخال ثقافة المستعمِر :

المرحلة الأولى وهي مرحلة **الإتصال المباشر الأولي،** وهذا من خلال الإتصال والإحتكاك بثقافة المستعمِر، وبالتالي حدوث الصدام الثقافي في البيئة الإستعمارية، وهو ما يهدد ثقافة المستعمَر الأصلية بشكل منهجي إلى أن يعمل على تفتيتها رويداً رويداً؛ وبالتالي تبدأ آثار الصدمة بالحدوث وتؤثر على الصحة النفسية للمستعمَر، مما يؤدي إلى الشعور بالخسارة والإنفصال في ظل شعوره بالحزن والألم. أما بعد ذلك فتأتي مرحلة **التنافس الاقتصادي؛** حيث في ظلّ شعور المُستعمَر بخسارة أرضه يبدأ شعوره بوحشية الحياة وصعوبتها (حياته الإستعمارية)، خاصة وأن المستعمِر يسلب المستعمَر أغلى ما يملك، فما يحدث بالأساس هو أن المستعمِر يحرص على الحفاظ على الإستمرارية في أفعال وسلوكيات تعارض سلوكيات وأفعال المستعمَر، ففي كل مرة يبدأ المستعمَر بالانسجام والحفاظ على أصالته يحاول المستعمِر تطيم هذه القوة في أوج تكوينها لدى المستعمَر.

ولعل أكثر ما يميز ما يقوم به المستعمِر هو محاولة دفعه المستعمَر بشكل دائم إلى الاستهلاك في حياته، عوضاً عن عيشه معه وتأقلمه فيه لكي لا تتسنى له فرصة الوقوف على أقدامه وتكوين أي قوة تساعده في عيش حياته، فهو يريده فقط أن يستهلك بدون أن يكون عنصراً منتجاً. ولو تمعنّا بهذا فعلاً وبشكل دقيق، سنجد أنه واقع الحدوث في الظرف الإستعماري لدى الشباب المقدسي، وهو ما كان يظهر بشكل واضح من خلال هذا الشباب العامل، فهو مدرك تماماً بأن المستعمِر يريده أن لا يعتمد على نفسه وأن يبقى في دائرة الإستهلاك من المستعمِر بشكل دائم وهو ما يتضح في منهجية المستعمِر في فرص العمل لديه وسياسته في العمل.

وهذا لا يعني أن إستراتيجيات المُستعمِر في قمع المُستعمَر تنتهي، بل هي تستمر بشكل مبطّن فيما يسمى بـــ **فترة الغزو الحربية**، فيضع إستراتيجية لإبادة المستعمَر من خلال قوته العسكرية، و هذا النوع من الإستراتجيات يؤثر على نحو كبير على صحة المستعمَر النفسية، و يظهر هذا من خلال الأعراض التي يشعر المستعمَرون المهجَّرون من أماكنهم وعائلاتهم بها. وهنا يبدأ شعور المُستعمَر بـ**القهر والبقاء في آن واحد**، خاصة في ظل نقله من مكانه الذي إعتاد التواجد فيه. وبالتالي فإن حدوث هذا الإختلاف في آليات البقاء لدى المستعمَر يتداخل مع قهر وتدمير المستعمِرْ لثقافة المستعمَرْ. وأخيراً، **مرحلة الإنتقال الإجباري والإنهاء**، فيتم تهجير المستعمَرْ لأماكن خالية من الدعم الاجتماعي والحاجات الأساسية للبقاء السليم وهو ما يجعل بعض العائلات لا تستطيع البقاء بينما المستعمَرون الآخرون في إختبار دائم لأعراض التهجير. (Eduardo & Bonnie, 1995)

ولو لاحظنا نتائج إضطراب ما بعد الصدمة بين الأجيال في السياق الفلسطيني، سنجد أن هذه المراحل التي طورها إدواردو وبوني متأصلة في الحالة الفلسطينية ولكن بطريقة أخرى؛ حيث أن هذه المراحل تتناسب مع سياق ثقافي يختلف عن السياق الثقافي الفلسطيني. بمعنى أن الإنسان الفلسطيني والذي يُعتبر في هذه الدراسة الشباب المقدسي العامل بشكل خاص والإنسان الفلسطيني بشكل عام، يعاني شرخاً في الزمن وهذا الشرخ لا بدّ وأن يترك أثراً يقابله في الشخصية فراغ وعدم إنتظام، فمن أراد تحرير فلسطين مسبقاً هو من خرج منها وهُجِّر. فمشروع التحرّر كان

هدفه تحرير فلسطين في ال 48 ومن ثم إنتقل إلى ما يمكن تحريره ثم إنحصر في الضفة، لذا فالإنسان الفلسطيني بعدمية الإنتظام التي تنتزعه تجعله يعاني شرخاً، وهو ما يُترجم على شكل صدمة تتناقلها الأجيال السابقة واللاحقة. ولعلّ ذلك يتمثل بوضوح في إعطاء الإنسان الفلسطيني سرداً لتاريخه ولكن بدون ربطه مع ما يحدث معه في الحاضر، فلا يظهر له كيف يؤثر التاريخ عليه لعدم ربطه مع ذاته، وهو ما يُفسِّر أن ما عليه الإنسان الفلسطيني اليوم هو مُحصِّلة لما مرّ به من تجارب خلال التاريخ، حيث هو ليس مجرد أحداث في الزمن بل احداثاً تؤثر على تجارب وشخصيات الإنسان الفلسطيني. وبهذا فإن الصدمة وُجدت لدى الإنسان الفلسطيني الذي أُخرج من أرضه والذي كان يعتقد أنها مسألة وقت وسيعود، وكان على الدوام رافضاً في ذاته لما يحدث معه، فتحولت القضية من معضلة التهجير إلى معضلة كيف يمتلك الإمكانية لتحمّل المخيمات أكثر من قضية اللجوء، لذلك فإن أكثر تعبير يليق بنفسيّة اللاجئ الفلسطيني هو (إستدامة المؤقت)، وهذا يعبّر عن أزمة بحد ذاتها. وهنا تحول اللجوء إلى إقامة، فأصبح أهم تحدٍّ لدى الإنسان الفلسطيني هو أن يعيش دون إثبات على وجوده. وعليه، إن كل هذه الدائرة تؤدي إلى وجود فجوة بين الأجيال المختلفة ومنها الفجوة ما بين الآباء والأبناء؛ أي أن الآباء يعيشون حالة نفسية وصراعاً نفسياً أحادي الأزمة، بينما يعيش الأبناء أزمة ثنائية، فيُمسون يصارعون في فهم ثقافتين مختلفتين إحداهما إعتدت على الأخرى وشوهتها، وهذا بدوره يفسّر كيف يحدث إختلاف الأجيال وما ينتج عنه من إضطراب ما بعد الصدمة في الحالة الفلسطينية. إضافة إلى أن هذا الاضطراب يرتبط بشكل وثيق بحدث النكبة في حياة الفلسطينيين، فالنكبة ليست لمن نُكِبَ بل أيضاً لمن لا يعرف النكبة ومن لم يتأثر بها، إذ أنها تشكّل جزءاً كبيراً من شخصية الإنسان الفلسطيني وهي الجانب الآخر الذي يمثّل الشرخ في الزمن والانكسار. (الكرمي، 1999)

وبالتالي، فالذهنية الإستعمارية ليست فقط وسيلة يتم من خلالها معرفة كيف يفكر ويشعر ويسلك المضطَهَدين إتجاه أنفسهم أو إتجاه جماعتهم العرقية أو جماعات أخرى، وليست فقط وسيلة لمعرفة مدى تأثيرها على قيم الأفراد المضطَهَدين وعلى هويتهم؛ بل هي أيضا وسيلة وعامل يلعب دوراً كبيراً في الصحة النفسية للمضطَهَد وسلوكياته. وبالتالي، فإن هذا يوضح العلاقة ما

بين الذهنية الاستعمارية والصحة النفسية والمتغيرات التي تؤثر فيها كالإكتئاب والتقدير الذاتي والإنتحار والقلق والرضا الحياتي والهوية العرقية، وهو ما بدوره يوضح المفاهيم المعقدة التي تضمنها الذهنية الاستعمارية والتي تؤثر جميعها في الصحة النفسية والتوافق النفسي لدى المضطَهَد.(David, Okazaki & Nadal, 2011)

وعليه، نرى أن مخلّفات المُستعمِر تشمل الإساءة لمناحي حياة المستعمَرْ سواء على المستوى المادي والعاطفي، والنفسي وكذلك الجنسي. وبالتالي، فإن هذا يزيد من إمكانية استدخال المستعمَرْ لآثار هذه الإساءات، وهو ما يولِّد بدوره الأيديولوجية لتحطيم نظام المستعمَرْ وخاصة في ظل بدء المستعمَرْ في إستدخال الإضطهاد كطريق لا يستطيع المستعمَرْ الفرار منه؛ وذلك لأن آليات الهيمنة التي يستدخلها المستعمِر تعمل على جعل هذه الرغبة مُنْتَجَةً من قبل المستعمَرْ. ومن ناحية أخرى، إن أثر الصدمة لا يتناول فقط الصحة النفسية للمستعمَر، بل أيضاً يمتد ليخترق هويّته الإثنية والثقافية، فيصبح مغترباً عنها في ظل استدخاله لما يحدث في محيطه الإستعماري وهذا الإغتراب يقترن بشعور المستعمَرْ بفقدانه لمنظومته المجتمعية. (Eduardo & Bonnie, 1995)

ومن هنا يأتي دور التوسط (الدخول) في الذات الداخلية الإستعمارية، وهو ما يدل على الرغبة الجماعية التي تتمثل بالجودة الداخلية الشخصية التي قد تكون لدى الجماعة المستعمَرة فيما يريدونه وما يخافونه في آن واحد. وعليه، فإن من المهم أن ننتبه إلى الإحتكاك الفيزيائي ما بين المستعمِرْ والمُستعمَرْ؛ لما له من دور كبير في تحديد المحددات والآليات المجازية في العلاقة الإستعمارية، وهو ما بدوره يفسر التناقضات التي قد تكون موجودة لدى المستعمِرْ والمُستعمَرْ، وهذا أيضا يرتبط بالحاجة الإقتصادية الموجودة لدى المستعمِر لكي يضمن إستمرار إقتصاده من خلال المستعمَرْ. (Hook, 2012)

وهذا من شأنه أن يقود إلى مقومات العلاقة الإستعمارية ما بين المستعمِر والمستعمَر؛ فواحدة من أهم مقومات العلاقة الإستعمارية هي اللغة والإستغلال الإستعماري، أما الأخير فيشمل شقيّن

أساسيين ولعلّ أكثرهما أهمية؛ شكل العلاقة الإستعمارية وهذا يرتبط بدروه بالهوية الإثنية. فمن ناحية، تلعب الهوية الإثنية دورا ً مهما في العلاقة الإستعمارية بين المستعمِر والمستعمَر وصولاً لمرحلة يتم فيها إستدخال الإضطهاد لدى ذلك المستعمَر، وهو ما قام عليه بحث ديفيد وأوكازكي الذي يدور حول الذهنية الإستعمارية بشكل محوري؛ فوضّح أثر إستدخال الإضطهاد على الأقلية الفلبينية كمستعمَرين، وهو ما أدى بهم إلى الوصول إلى مرحلة تشويش للهوية. وتجعل الأفراد المُضطَهَدين يقومون بالإعلاء من شأن وقيمة ثقافة المستعمِر ويقلّلون من شأن ثقافتهم، وهو ما يؤدي بهم إلى لعن هويتهم الذاتية التي تصبح بمثابة وصمة عار لهم. إضافة إلى أنه لاحقاً، يصل الفرد المُضطَهَد مرحلة يذوّت ويدرك فيها الأفكار النمطية للمستعمِر وتصبح موجودة لديه؛ وتنبغي الإشارة إلى أن الوصول لمرحلة تذويت الأفكار النمطية الإستعمارية يحدث حين يتم إستمرار الوضع الإضطهادي. (David & Okazki, 2006)

أما فيما يتعلق باللغة؛ فمن خلالها ننتقل من وصف حالة الإستعمار إلى سلوك الإستعمار ومنهجية المستعمِر. وعليه لا بد أن نأخذ عدة اعتبارات حين ندرس جزئية اللغة في العلاقة الإستعمارية: **أولا** من المهم أن نفهم الهدف من معاصرة لغة المستعمِرْ، وأين تتمثل فائدتها، وما هو دورها في فهم العلاقة الاجتماعية بين المستعمِرْ والمُستعمَرْ في العلاقة الإستعمارية. لذا، فان إستخدام اللغة في تحليل العلاقة الإستعمارية يساعد على فهم أعمق يفوق أبعاد البنية السياسية والإجتماعية أو الإقتصادية، وهذا مهم جداً؛ لا سيما وأن الإتجاه نحو تحليل السياق لما بعد الإستعمار قد يشير إلى تناقضات مختلفة في فحص الأبعاد المتناقضة التي تعتبر جزءاً من اللغة كعنصر يدخل في تحليل العلاقة الإستعمارية. (Hook, 2012) وعليه، تُعتبر اللغة من عداد العناصر التي تحدد الثقافة والهوية، وتُعتبر من أهم الإنتماءات التي يعترف الشخص بها، ويعتبر الدين بطبيعته حصرياً بعكس اللغة؛ فمثلاً من الممكن أن يكون هناك شخص يتكلم العربية والعبرية والإنجليزية، ولكن لا يستطيع أن يكون مسلماً ويهودياً ومسيحياً في آن واحد. وعليه، فإن اللغة تتحلى بصفة وخصوصية فريدة تجعل منها عامل هوية، وأداة تواصل، وبالتالي من غير المفيد الفصل بين اللغة والإنتماء؛ فاللغة عماد الهوية الثقافية، والتنوع الثقافي عماد كل تنوع بالمطلق. فكل كائن بشري

يشعر بالحاجة إلى لغة انتمائية تكون مشتركة بين مئات الملايين من الأفراد وهو ما يفسر أنه وحده الشعور بالإنتماء هو الذي يشكل أهمية، وكل إنسان بحاجة إلى هذا الرابط القوي والمطمئن.(معلوف،1999)

ومن ناحية أخرى، فإن شكل العلاقة ما بين المستعمِرْ والمُستعمَرْ تمثّل شرطا ً أساسيا ً في الإستغلال الإستعماري، والتي من شأنها أن تكون موجودة في حال كان هناك حيزٌ للإستغلال، فإن هذا من شأنه أن يعطي المستعمِر فرصة للإستغلال؛ بمعنى أنه لو كان المستعمِر كمستقبل للثروة الناجمة عن إستعماره للآخر، يعتمد على السيطرة على الموارد والمصادر الطبيعية لكي يقوم باستهلاكها، فإن هذا يُحتِّم الإفتراض المسبق حول وجود قوة عمل قابلة للتطبيق؛ ذلك لأن العمل يجعل المستعمِرْ يشعر بحجم المشكلة لديه؛ لأنه من دون العمل لا يستطيع المستعمِر أن يضمن يد عاملة قوية تجعل من عملية إستعماره قابلة للتطبيق. وهذا يحدث من خلال خلق الرغبة والإعتياد على أي عمل يحتاج لجهد كبير لدى العامل (المستعمَر)، الذي سيقوم به وبالشكل الذي يجعله يشعر بثباته في العمل فيبدأ بأخذ شكل الحياة المعين لديه. (Lorcin, 1995) لذا فإن الحالة الإقتصادية تحدد مستقبل المستعمِر؛ فالإستعمار لا يبحث فقط عن الربح، بل أيضا يعاني من الجشع، ويسعى للوصول إلى حالة إرضاءات شخصية تعود بالنفع على حالته النفسية، وهذا أخطر بكثير من سيطرته الإقتصادية فيما يتعلق بالعلاقة ما بين الإقتصاد والظرف الإستعماري. (Khanna, 2003)

ولعل أكثر ما قد يشعر به المستعمَر العامل هو الإغتراب؛ حيث أن الفرد يجد أساس كل اغتراب محتمل في العلاقة المحددة المركبة للمرء بالآخر من خلال وساطة الشيء وعلاقته بالشيء، ومن خلال وساطة الآخر، ومن هنا فإن رد العلاقة بين المرء والآخرين إلى مجرد علاقات إقتصادية تتمحور حول الشيء المنتج (أي علاقات العامل بصاحب العمل وعلاقته بالمستهلك وعلاقته بزملائه في العمل أو العمال المنافسين)، فيتعرض الفرد للإغتراب عندما تصبح ذات الفرد متموضعة بإعتبارها شيئاً غريباً ومعادياً له، بينما فيما يتعلق بالوجود والعدم بأن الفرد يعايش ذاته كشيء وليس كذات من خلال وساطة فرد آخر. وفي ظلّ ظروف معينة يظهر وعي الفرد

بموضوعيته؛ حيث أن نظرة الآخر هي شرط ضروري لموضوعيته. فالجيل الذي خُلِقَ ووجد نفسه تحت الإستعمار ولم يشهد يوماً دخول هذا الإستعمار وكيفية فرض سيطرته، كل ما لديه من معلومات قد يكون جمعها في حديث مع جدّه أو جدّته عمّا واجهوا من تشريد وتهجير وغيره، هذا الجيل بإمتزاج الوضع الذي وجد نفسه فيه ومع الخلفية التي تكونت لديه عن المُستعمِر أصبح يعاني إغتراباً في الذات، فهو في محاولاته الحثيثة لكشف ذاته يصطدم بواقع يعيشه، ومُلزم بأن يتعايش مع المُستعمِر، لذا فأصبح يجد نفسه غريباً حتى عن ذاته ولو قُدِّرَ له يوماً أن يتخلّص من هذا المُستعمِر ويستعيد حريته فمن الأصعب أن يُقدَّر له التخلّص من هذا الإغتراب الدفين في داخله. (شاخت،1980)

لذا، فإن التزايد أو الإنخفاض في وعي المضطَهَد تجاه وضعه الإستعماري، لا سيما إن كان موجوداً على مستوى جماعي لدى أفراد الجماعة المضطَهَدة، يشير إلى أن هناك حِسّاً جماعياً يوضح أن المقاومة السياسية التي قد يشعر بها المضطَهَد تبدأ وتنتهي بالحديث عن المضطَهِد ومميزاته؛ وهذا ما ظهر في حديث الشباب المقدسي خلال الدراسة. وعليه، فالبنية الإقتصادية غير كافية لكي توضح التعقيد في القوى الإستعمارية؛ حيث أن الإستعمار لا يبحث عن بديل، بل ينظر أيضاً لأبعاد أخرى موجودة لدى الآخر الذي يسعى إلى إستعماره، فيخترق أبعاده النفسية ورضاه النفسي وهذا أكثر خطورة من السيطرة عليه إقتصادياً.(Hook, 2012)

ولعلّ من أكثر الأمثلة على ذلك، الحضور الإستعماري الفرنسي في الجزائر الذي كان قائماً على السيطرة التجارية والنشاط الإقتصادي، لا سيما من خلال الوكالات التجارية. ومن هنا فإن المستوطنة الإستعمارية الناجحة تكون قائمة بالأساس على شرطين أساسين: الأرض والعمل. وعليه، فإنه يترتب على ذلك سؤالٌ محوري فيما تقوم به الدولة المُستعمِرة من بحث وإستطلاع للأراضي التي تنوي استعمارها، بحيث تبحث في إستغلالها الإستعماري، وفي إمكانية إستغلال الثروات التي قد تكون لدى البلد المستعمَرْ من المعادن والصناعة والتجارة والثقافة التاريخية وأهميتها؛ وهو ما يوجد بشكل أساسي في الماضي والحاضر لتطور أي بلاد، وبالتالي فإن هذا مهم بالنسبة لهذه الإمكانية، من حيث تحديده بشكل أساسي كمعيار لمنهجية العمل الذي ستقوم عليه

السياسة الإستعمارية في تلك البلاد المستعمَرة وهذا يرتبط على نحو كبير بالأرض. (Lorcin, 1995) ولعلّ أكثر ما يرتبط بالظرف الإستعماري في السياق الفلسطيني هو مشروع الدولة اليهودية في فلسطين، فحتى الصهاينة اليهود يعلمون أن مشروع الدولة اليهودية في فلسطين هو مشروع تجاري، وأصبحت الأرض المقدسة ذاتها مشروعا تجارياً ناجحاً، لا سيما وأن واقع الإقتصاد الإسرائيلي سَحَرَ رأس المال الأجنبي من عدة نواح أهمها أيدي العمل الرخيصة والبيروقراطية وإستقرار نظام الحكم (النتشة،1986). حيث في السنوات التي سبقت حرب عام 1967 لم يعد النظام الأبوي القديم المرتكز على الحمولة والعائلة قادراً على تلبية احتياجات الجمهور العربي في إسرائيل بكاملها، على الرغم من أنه واصل كونه عاملاً أساسياً في السنوات الأولى السابقة لسنة الألفين. إن جزءاً من قوة هذا النظام في الماضي ينبع من دوره المهم في العقدين الأولين على قيام دولة إسرائيل في عملية توزيع تراخيص حكومية ومنافع ذات صلة بالقطاع الزراعي، ولكن بعد انخفاض عدد العرب العاملين في هذا القطاع. (كمبيرلنغ،2011) وعليه، فإن قيام دولة إسرائيل بتوزيع تلك التراخيص، يفسّر أن جميع عمليات الغزو الإستعماري جاءت في أعقاب نشأة مشروع تجاري أو مصالح إقتصادية معينة في منطقة ما في العالم المتخلِّف، وإن كانت تخفى على العموم خلف لافتات تحمل في طياتها فكرة تصوٌّر على أنها إنسانية. إضافةً إلى محاولة حرص المستعمِر الدائمة على تغطية مخططاته برداء من الإنسانية والحضارة، ولجوئه إلى إستغلال الدين ليظهر بمظهر الحريص على المؤمنين وتأدية رسالة الإنسانية، وهو ما يتصل بشكل وثيق في أن إسرائيل رأس جسر إستعماري، بحيث أن وظيفة الدولة اليهودية كمشروع إستعماري هي تأمين المنافع المادية للدول الإستعمارية، وبالتالي فهي جسر إستعماري ينطلق لإستحواذ كل ما هو موجود في المنطقة. (النتشة،1986) وهو ما يفسّر بدوره اعتقاد العديد من اليهود الذين يعتقدون أن الديانة اليهودية والعنصرية الموجودة بين اليهود تجعل منهم أمة واحدة، وتشكّل قومية يهودية، وتقع على ما يسمى "الأمة اليهودية" الحقوق القومية الطبيعية: ومنها الحق في كيان منفصل على أرض خاصة به في إقامة دولة يهودية، والذي بدوره يرتّب على الإيمان الصهيوني ثلاث نتائج: الإنغلاق العنصري والتمييز العنصري والتفوق

العنصري؛ فالانغلاق العنصري يتمثل عن طريق تجميع اليهود في دولة مستقلة، والإنطواء على الذات يحول دون الإندماج؛ وهذا الإنغلاق العنصري قائم على أساس التمييز العنصري التام بين الآخرين في البلاد، بحيث يؤدي إلى ضرورة رفض تعايش اليهود مع غيرهم في أرض التجمع اليهودي، أما التفوق العنصري فيظهر من خلال مبادئ الصهيونية؛ فالشعب المختار لا يستطيع تحقيق مصيره الخاص المميز إلا عندما يتم تجميعه بكامله في وطن خاص به لا يقيم فيه سواه. (صايغ والكيالي، 1965)

وفي الوقت نفسه، تقودنا العلاقة السابقة (علاقة الإستعمار بالأرض وعلاقة الإستعمار بالعمل) إلى ملاحظة مهمّة، والتي تمثّل بدورها ما هو جديد في الدراسة الحالية، ألا وهي أثر الإستعمار على الجانب الثقافي كاللغة من بعد الإستيلاء على الأرض؛ فَـــــــفي الوقت الذي تناول فيه الباحثون موضوع تطور الهوية الإثنية وتأثيرها على الأفراد، نجد أن إريسكون على سبيل المثال تحدث في نظريته عن الهوية كمفهوم لدى المراهق، ومن ثمّ أضاف مارشيا على ذلك دراسته عن الهوية على المستوى الفردي حول كيفية إستكشاف المراهق لهويته، وهو ما جعل فينني تساهم بأن تجمع بين ما قام به تاجفل ومارشيا وتصل إلى تعريف الهوية الإثنية من خلال دراسة مدى وجود وعي بالانتماء لدى الفرد تجاه أعضاء الجماعة التي ينتمي اليها. (Phinney, 2007)

وعليه، فإن هذا يَدُلّ على أن جميع الدراسات السابقة تحدثت عن الهوية الإثنية في سياق **تعددية ثقافية** ولم تتناوله في **سياق إستعماري**، وهو ما يقودنا الى ملاحظة مهمّة تتمثّل في أن تطور الهوية الجماعية في ظل ظرف إستعماري يجعل الأفراد المُستعمَرين يتصارعون، وهذا في غاية الأهمية؛ كون جزءاً منه يرتبط بمسألة كبت المُستعمِر للمُستعمَر وهذا هو الجانب الجديد الذي تحاول الدراسة الحالية البحث فيه وترتكز عليه؛ حيث أن الإنطلاق من هذه الجزئية يقودنا الى نتيجة مفادها أن الهوية الإثنية أو الوطنية في ظل سياق إستعماري من المتوقع دائماً أن تتعرض إلى الغزو الثقافي. وهو ما وضحه فريري، حيث أنه عند قيام المستعمِر بمحاربة الإدراك المُجتمعي لأفراد المجتمع المُستعمَر وتحكُمِه بإدراكهم، يؤدي بدوره إلى إختراق جودة الإدراك

الحقيقي لدى هذا المُستعمَر بهدف إخضاعه لأحكامه وتحقيره فيما بعد لذاته كإنسان مُستعمَر والرفع من شأن المستعمِر. (فريري،2003)

وهذا يقودنا الى العلاقة المهمة ما بين الإستعمار والعواطف؛ فعاطفة المُستعمَر هي التي توجّه طريقة تفكيره وشعوره بالمُستعمِر الذي يحيط به، فتشمل دافعيته وطاقته وكذلك ثورته الداخلية على المُستعمِر، وهذه جميعاً يختبرها المُستعمَر كحالة شعورية تصبح الموجِّه لأفعاله وأفكاره، إضافة إلى المشاعر الأخرى التي قد تعتريه من شعور بالذنب، والخجل، والخوف أو بشكل معاكس فرح، حب، وتقبّل. في حقيقة الأمر، إن التداخل ما بين المستعمِر والمستعمَر في إطار وجودهما بمساحة عاطفية والتي تترأسها شعور المُستعمَر بالنقص، لكي يؤدي وظيفته بالطريقة التي يريدها المُستعمِر، يجب عليه أن يتم من خلال وصول المُستعمَر إلى مرحلة يقارن فيها بينه وبين المستعمِر، وهذا ما يتوقف عليه كيف يرى ويُعرِّف المُستعمَر نفسه، وبالتالي فالمقارنة الإجتماعية تشكّل جزءاً من مفهوم الفرد لهويّته الجماعية. وهو ما يرتبط بحالة الإستعمار الذهنية لدى المستعمَر وعملية المقارنة مع المُستعمِر. حيث أن المفاهيم السلبية التي يحملها المُستعمَر عن ذاته وهويّته، يقوم مع الوقت باستدخالها وتتجسد لديه كحقائق، وهذه بدورها تؤثر بشكل مباشر على سلوكيات المُستعمَر العاطفية لا سيما وعيه نحو شعوره بالانتماء. (Diaz & Garcia, 2003) وبالتالي فإن العلاقة المرضية ما بين المستعمِرْ والمُستعمَرْ توضح العلاقة الإستطرادية الرمزية والمادية والفيزيائية في الظرف الاستعماري. وعليه، فإن هذه العلاقة ليست علاقة عادية بين طرفين بقدر ما هي علاقة تقوم على بنية عنصرية في ظل نظام رمزي والذي بدوره يشكل الظرف الاستعماري. (Hook, 2012)

وبما أن المفاهيم السلبية التي يحملها المُستعمَر عن ذاته وهويّته تُعتَبَر جزءاً لا يتجزأ من مساحة الوعي لديه، فإن الأفكار النمطية تشكّل بدورها جزءاً مهماً من الهوية الجماعية للأفراد، وتساهم في شكل الصراع بين الجماعات، وهو ما تتناوله عدة نظريات تفسر هذه العلاقة، ومنها نظرية الصراع الواقعي بين الجماعات، ونظرية فرض الإتصال، وأيضاً نظرية الهوية الإجتماعية؛ حيث أن ما يميز الأولى وجود صراع يعبّر عن علاقة تسيطر فيها جماعة على جماعة أخرى، ويتم

وصف العلاقة في هذه الحالة بأن إحداهما جماعة مسيطرة ومُستغِلّة والأخرى مهزومة. بينما الثانية، تلعب دوراً مهماً في الأفكار النمطية عن الجماعة؛ بحيث أن اتجاهات الأفراد تتحدد بالخبرات التي يكتسبونها من أعضاء الجماعة الأخرى وهذا له تبعات كثيرة. ولا بد أن يدخل ذلك في الهوية الإجتماعية كونها المؤثر الأساسي في الأفكار النمطية لدى جماعة ما (المستكاوي،2007). فحتى أن المُستعمِر في فهمه الإستبدادي ونظرته اللاأخلاقية للمستعمَر قد يصل إلى أن يُنكِر أخلاق المستعمَر ويُشَكِّك في قيمه، ولا يجد بديلاً آخر إلا أن ينسبه إلى الشرّ المطلق رافضاً فكرة أن هذا المُسستعمَر إنسان له نشأته الخاصة في المبادئ والأخلاق. (Fanon, 1963)

إن ما سبق قد يقود إلى تماهي الإنسان المقهور بسلطة الإستبداد و وقوع المستعمَر في غرام المستعمِر والتماهي معه. (اغازريان،2010) فعند إنهيار منظومة القيم في المجتمعات القهرية يلجأ الإنسان الضعيف إلى أساليب الخداع للذات، فيصاب الإنسان المقهور بحالة من العجز واليأس وعدم القابلية لإستيعاب الأحداث الجارية في محيطه، فيلجأ إلى الوصول إلى حالة من التوازن النفسي الكاذب. وبما أن العقل البشري الأداة المنظمة للفعل السوي وتحقيق الرغبات والنجاح في المجتمع، فيتم السعي للسيطرة عليه. (الربيعي،2007) وهذا ما أشار له شريعتي في وصفه للشخصية المقهورة حيث أن هنالك العديد من المظاهر والجدالات والجاذبيات التي تمزق حياة الإنسان المقهور، بل تحقره أيضا وقد تجعله ينسى سيادته وعزته وآدميته، فيصبح مستهلكاً لنفسه ويبذلها، بل ويضحي بها لغيره وهذا في سبيل الثناء الكاذب على الغير من أجل الحصول على بغيته (إستحمار مباشر). وفي الوقت نفسه، فإن هذا يرتبط بالنباهة الاجتماعية التي تماثل مفهوم الإدراك أو الوعي الحقيقي لدى المستعمَر فيما يتعلق بمدى تمييزه ما بين حريته المزيفة وحريته الحقيقية في إطار خفي؛ بمعنى أن الاستعمار يقوم على جعل المستعمَر يسعى إلى حريته الفردية، والتي تتمثل بأداة تخدير كبرى لإغفال الحرية الإجتماعية، حيث أنهم في قضية النباهة الإجتماعية ينادون بالحرية الفردية ويدعون لها من أجل تمويه الأذهان والغفلة عن النباهة الإجتماعية، حيث يرى الإنسان نفسه حراً من الناحية الفردية في غذائه وشهواته وهو شعور

كاذب بالحرية (إستحمار غير مباشر). وهذا ما أراد شريعتي الإشارة له نحو إمتلاك الوعي والنباهة الكافية لدحض وكشف مخططات الطرف الآخر المهيمن بعيداً عن ديناميكية الإستحمار، و التي تتمثل في التجهيل أي تحريك الأذهان إلى الجهل والغفلة عن القضايا المصيرية، كذلك الإلهاء؛ إلهاء الإنسان عن الحقوق الكلية بالحقوق الجزئية بما يقع تحت فلسفة الأهم والمهم وفقاً للأولويات التي تقوم بإشغال الإنسان في المهم دون الأهم وفي الهامش دون المركز (شريعتي،2004).

لذا، فإن سيطرة المستعمِر على عقل المستعمَر أقوى سلاح بيد المعتدي، فإذا تمكن المعتدي من التحكم بعقل المعتدى عليه فذلك يعني تمكّنه من بلوغ أهدافه في وقت قصير وبكلفة أقل. ولعلّ أهم ما في الأمر، أن خسائره البشرية ستقل، وفي نفس الوقت يقتضي ذلك التركيز على الهوية الثقافية؛ الأمر الذي من شأنه أن يحوّل المُعتدى عليه إلى كائن فاقد الإنتماء، غير قادر على التعامل مع بيئته الثقافية. بمعنى أن تشويه الهوية الثقافية سيحوله إلى كائن فاقد لمعنى الوجود وهو ما يستهدفه المعتدي. (حسن،2010)

لذا فإن الدراية النفسية والدراية الإجتماعية كفيلتان لنجاة هذا الإنسان المستعمَر؛ فالوعي النفسي (النباهة) هي التي تشعر الإنسان بما فات منه، أما الوعي الإجتماعي هو الذي يمكن أن يشعره بما يجري على مصير مجتمعه في الخفاء. وهذان الوعيان هما الوحيدان اللذان بإستطاعتهما النجاة بالإنسان. وحدوث هذا كفيل بأن يردع وجود المستعمَر في بؤرة الإستحمار بكافة أنواعه، المباشر وغير المباشر، لا سيما وأن الإستحمار يسلب الدراية النفسية والإجتماعية، فأي جيل ينصرف عن الدراية الإنسانية كعقيدة وإتجاه فكري ومسير حياتي دائم، وأي إنسان لا يفكر في الدراية الإجتماعية بمفهوم (نحن)، وإنما يفكر في شيء غير مصير المجتمع ومشاكله ومبهماته وإحتياجاته يكون هذا إستحماراً، وليس بالضرورة أن يقود إلى الإنحرافات بل قد يقود المستعمَر إلى المحاسن ليصرفه عن كل ما يُشعِرْه بالخطر كي لا يفكر فيه فينبهّهُ هو والناس. (شريعتي،2004)

إن ما يحدث عند ترسيخ عملية الإستعمار لآلياتها ومنهجيتها عند المستعمَرْ وبطريقة خارقة لتقاليده وثقافته الأصلية تؤدي إلى إنقسام في شخصية المستعمَرْ، والتي بدورها تتضمن مستويات مختلفة من أثر الصدمة. وبالتالي فإن مشاعر اليأس والعجز تقترن بدورها بمدى مقدرة المستعمَر على إختيار مستوى نفسي من الأنا الذاتية لديه، وأن يستمر في إدراكه وحمايته من التحطّم، حيث أن هذا الجزء من الأنا الذاتية للمستعمَر عندما ينقسم ويتم إختراقه يرتبط شعوره بالألم، ويرتبط جزءٌ منه بإدراكه للعدو المستعمِر والتماهي معه. (Eduardo & Bonnie, 1995) وهذا يقود إلى الفناء في شخصية الديكتاتور (المستبدّ) شيئاً فشيئاً، حيث أن بعض الديكتاتورية واستنكارها يحدث بسبب إلغاء شخصية الديكتاتور لما سواها من الشخصيات وقهرها في شخصية واحدة، ويتحول المجتمع إلى ملايين من الشخصيات (المصلحية) الذائبة في شخصية حقيقية واحدة، في (أنا) واحدة هي أنا الرئيس وتلك هي بداية النهاية لمجتمع ما. وهنا تبدأ أيضاً مرحلة شعور المستعمَر بالعجز المكتسب؛ فيصبح ذلك الشخص المقهور عاجزاً عن الإنتقاد وحتى عن الإستفسار والكلام ولا يجرؤ على أن يتصور أنه قادرٌ على إنجاز أي عمل صغير، وهذا بدوره يعود على كافة الجيل اللاحق الذي يبدأ باستحقار نفسه، فسياسة الإستعباد والإسترقاق تقتضي التحقير أولا أي أنها تُحقّر الذي يُراد إسترقاقه حتى يظنّ أنه من طبقة دونية. (شريعتي، 2004)

وعليه، فإن ما سبق يساعد المستعمَر ويمثل له التوازن في رغبته نحو مجاراة المستعمِر في قوته، فاكتساب جزءٍ من قوة المعتدي في ذات المستعمَرْ كمعتدى عليه يصبح هدفاً يستهدف منظومة المجتمع المستعمَرْ وحياته، خاصة في ظل وقوع المستعمَرْ في بؤرة التركيز الفكري الخالي من الوعي الحقيقي لما يحدث في محيطه الإستعماري. وبالتالي، فإن إستدخال تركيز فكري بدون وعي حقيقي يترتب عليه آثار مختلفة، كإتجاه الشباب نحو المخدرات ومشاكل الإنتحار خاصة و مشاكل العنف بشكل عام، وما يترتب عليها من مشكلات ما بين الرجل والمرأة في المجتمع المستعمَرْ وخاصة عندما يصبّ الرجل في المجتمع المستعمَرْ لجام غضبه على زوجته وأولاده. وتتضح أهمية الوعي بما سبق خاصة وأن ثقافة العنف التقليدي قد تكون موجودة أصلاً في المجتمع الأبوي. وبالتالي في ظل العيش في الظرف الإستعماري يصبح لعنف الرجل وغضبه

الموجه على زوجته وأولاده قائماً بالأساس على عدم مقدرته على توجيه هذا العنف نحو المستعمِر (المعتدي). وفي نفس الوقت يرتبط هذا بمدى شعور هذا الرجل المستعمر بالعار ولا سيما في ظل شعور المستعمَرْ بإستدخاله لهزيمته مع المستعمِر. (Eduardo & Bonnie, 1995)

وعليه، كيف يمكن للمُستعمَر أن يحافظ على أصالته وهو في خضمّ مشروع مستمر يتم من خلاله اقتطاع جزءٍ من ذاته؟ وهذا من أهم التساؤلات التي حاول أمين معلوف طرحها في كتابه "الهويات القاتلة"، حيث يشير معلوف إلى إشكاليّة مهمة مفادها أن تأكيد الفرد لذاته وفي هذا العصر لا بدّ وأن يترافق مع إلغاء الآخر، وهذا ما يفسر الواقع الإستعماري حين تكون هناك جماعة ما تفرض سيطرتها على جماعة أخرى. ومن هنا ينطلق معلوف بأن هناك إمكانية لأن يصبح ذلك المجتمع المستعمَر عرضة للتوتر وتصاعد العنف، لا سيما في ظل وجود إختلافات بين الجماعتين، وهذا قد يكون بسبب الإختلاف في الديانة، لون البشرة، أو عدم الإنتماء للثقافة الأصلية ذاتها. فهل هو قانون الطبيعة أم هو قانون التاريخ الذي يحكم على البشر بالتناحر بإسم هويتهم. لذا، قد يُحتّم ما سبق أن تكون الهوية في وضع أكثر تعقيداً، وهو الوضع الذي يجد المُستعمَر نفسه فيه غير قادرٍ على الإضطلاع بشكل كامل بالواقع الإستعماري الذي يستنزفه، ويتوجب عليه الإختيار ما بين وعيه لانتمائه وجماعته وما بين تقبله للمستعمِر كجماعة أخرى موجودة قهراً مقابل جماعته. (معلوف،1999) وبالتالي إن خلق أكثر من هوية يؤدي لاحقاً إلى صراع وتعصب، والذي يكون مبنياً بدوره على أساس عرقي وليس سياسي. إضافةً إلى أن عدم فحص المستعمَر لماضيه وهويته السابقة هو إنكار لماهيته الداخلية، مما قد ينتج عنه آثار سلبية جداً في المستقبل حتى وإن تم تشكيل هوية جديدة للمستعمَرْ. وعليه، فيما يتعلق بالمستوى الفردي فإن الصراع يتعاظم في حين يصبح حضور الآخر سبباً في تحديد علاقته مع الآخر المختلف عنه، وتجعله يرى نفسه كما يريد الآخر أن يكون. من أجل ذلك، فإن إعادة التفاوض لغموض الحالة أو الهوية الجديدة يصبح شرطاً أساسيا لكي ينسجم مع وعي الفرد بعيداً عن أي صراع، وهذا لا يكون لدى المستعمَر فقط بل المستعمِر أيضاً ولكن في تحديدات مختلفة. مما يمثل بدوره

آليات دفاعية يتم إكتسابها لإيجاد حلول مختلفة لمنع الصراعات بين الجماعات . (Khanna, 2003)

ولعلّ أهم ما يحدث هو إلغاء الضمير التاريخي؛ إن الضمير التاريخي خاصية من خصائص الروح المتحضرة، والمحافظة على هذه الآثار وإحيائها ومعرفتها يدل على الماضي المستمر، ولها قيمة عاطفية أو فنية أو علمية، والاتصال التاريخي هو الذي يحقق إرتباط الجيل الحالي بماضيه الذي تشكلت فيه شخصيته، لذا فقد إستطاع الإستعمار بجهود علمية ومعقدة جداً وغامضة أن يضع مُدَّعي الحضارة في المجتمع الذي يستعمره ويجعلهم بتقاليدهم وتاريخهم في وضع يتناقضون فيه مع التقدم والعصرية، وبإسم الواقعية والتقدم يقومون بإلغاء ماضيهم ومحو تاريخهم ويهربون منها بحقد وكراهية شديدين. وعليه، يأتي السؤال الذي لا يحتمل التأجيل: كيف يقوم الإستعمار بتحويل صيده، بمعنى أولئك الذين يجعلهم مستهلكين مستأنسين متقبلين لأوامره، كيف يقوم بتحويلهم إلى متشبِّهين به؟ (شريعتي،2004) وهو ما يعني حين يصل المستعمَر إلى حالة إستدخال لثقافة وأفكار ونمط حياة المُستعمِر والتماهي معها كشيءٍ **إيجابي** بالرغم من تناقضها مع ثقافته الأصلية. فهذا الوضع يعمل على وجود المستعمِر بشكلٍ منهجيٍّ ومدروس حتى يصل إلى حالة سيطرة كاملة على المُستعمَر من خلال عملية الغزو الثقافي والتي تحدث عنها فريري، حيث يقوم الغزاة بموجب هذه الظاهرة بالتغلغل في السياق الثقافي لمجموعة أخرى، من غير إحترام لإمكانيات تلك المجموعة، ويفرضون نظرتهم إلى العالم على من يغزون، ويكبتون إبداعهم من خلال لجم تعبير الضحايا عنهم (فريري، 2003).

ومن هنا يتضح أن ما يسعى له المُستعمِر هو زرع شعور الهزيمة لدى المجتمع الذي يستعمِره، وذلك في سبيل سعيه للضغط عليه إقتصادياً وتدميره ثقافياً وتعصيب عينيه عن القيم المجتمعية لديه، وهذا لجعله لا يُفكِّر أبعد من منظور شعوره بالهزيمة والضعف وأنه مُسيطَر عليه، مما يدفعه للإعتقاد بأن ما يحصل معه هو من صُنع القدر ورسمه وتخطيطه، وبأن لا أحد مسؤول عن كونه مهزوماً ومهزوزاً في أعماق ذاته، وجُلّ ما يسعى إليه أن يهرب بنفسه وينقذها من ويلات

الهزيمة المحتّمة؛ وهو ما يصيبه (بإنفصام في الوعي) كمرحلة يسعى المُستعمِر في إيصال المُستعمَر لها وأن يتصرّف على أساسها. (سمارة،2001)

وتتطور مشاعر الخسارة المكبوتة في إدراك المستعمَر غير الواعي، وهو ما يسمى بالعالم الأسود "black world" وهو المكان الذي لا يمكن الدخول فيه نحو الإدراك والوعي الحقيقي لدى المستعمَرْ باستثناء أحلامه ورؤيته، وبالتالي فإن هذه المشاعر المكبوتة المفعمة بشعور الخسارة تستمر في اختراق صحة المستعمَرْ النفسية، وتجعله غير قادر ومتردد، الأمر الذي يجعله يسعى إلى إيجاد حلول مناسبة لكي يشعر بالإنسجام مع صراع المشاعر لديه. ولعلّ من أهم ما ينبغي الإنتباه له عملية فحص الإدراك الحقيقي لدى المستعمَرْ؛ حيث أن تحليل المدركات النفسية ومستوى وعي المستعمَرْ لما يدور حوله هو بمثابة آلية لتحليل ما يشعر به المستعمَرْ وما يقوم به حالياً ولاحقاً .(Eduardo & Bonnie, 1995)

وبالتالي فإن <u>عناصر الخطاب الإستعماري Elements of colonial discourse تتمثل فيما يلي:</u>

1. الخطاب الإستعماري كأداة أو جهاز حكومي يقوم على إنكار الإختلاف الثقافي والعرقي والتاريخي، بمعنى أنه يشكل أداة قوة مهيمنة تعمل على إنكار الآخر والتحقير من ثقافته.

2. وظائف إستراتيجية تعمل على جعل الناس موضوع معين أو شيء معين من خلال إنتاج شكل معين من أشكال المعرفة.

3. ينتج أنواع مختلفة من المعرفة من خلال مراقبتهم وتوصيلهم إلى نواح معقّدة من السعادة المزيفة أو الحزن؛

4. العمل على الحطّ من المستعمَرْ والتقليل من ثقافته العرقية(Hook, 2012).

بإمكاننا ملاحظة أن هذه العناصر تنطبق على الخطاب الإستعماري في السياق المقدسي، حيث أن هناك محاولة إستدخال خارق من قبل المُستعمِر للهوية الجماعية والثقافية للمستعمَر وذلك على

نحوٍ كبير، وذلك من خلال جعله يستدخل الذهنية الإستعمارية في أفكار المستعمَر النمطية، و بالنسبة إلى الدراسات التي تبحث كيفية حدوث إستدخال لأفكار المستعمَر النمطية والتي من خلالها يتم السيطرة عليه، فهي ليست كثيرة ولم تتطرق إلى الموضوع بشكل دقيق ومفصل وهذا ما يجعل دراسة عقلية المستعمَر لدى الفلسطينيين المقدسين نظرياً ومنهجياً أمراً مُلحاً.

وإن هذه الحاجة المُلحّة لدراسة السياق المقدسي تنبثق بشكل محوري من واقع الثقافة العربية في القدس، بغض النظر عن إصطدامها مع ثقافة المُستعمِر، حيث تصارع الثقافة العربية في القدس من أجل إيجاد مكان لها، و هي تتعرض للإنصهار مع ثقافة المُستعمِر بالرغم من عدم إنسجامها معها، وهو ما يؤدي لتبني كل ثقافة للأخرى، لا سيما وأن الثقافة الإسرائيلية الموجودة في القدس تقوم على أساس غير صحيح بالنسبة إلى ثقافة من تستعمِره، وهو ما يظهر من خلال تهويد الأرض (كمبرلينغ،2011)، خاصةً وأن القيمة الأساسية عند المستعمَر تتمثّل في هذه الأرض بإعتبارها القيمة المحسوسة الملموسة، الأرض التي من خلالها يجني المقدسي قوته و رزقه ويشعر فيها بكرامته، و قد يُعتقل بغير ذنب ويُضرب، فتُمسي الأخلاقية الوحيدة الموجودة لديه هي أن يتخلص من غطرسة المستعمِر، لا سيما في ظلّ خضوعه للإستعمار فيواجه الخجل من ذاته، وعدم الرغبة في الاعتراف بالخضوع والهزيمة، ما يولّد لديه شعوراً بالمقاومة والتحدّي؛ فهو يريد الوقوف أمام ذاته متحدّياً على الرغم من خضوعه للظلم المفروض عليه. (Fanon,1963) لذا، من بين كل المجموعات السكانية والشرائح القائمة اليوم في الدولة الإسرائيلية، أصبح الفلسطينيون يشعرون بأنهم أقلية في منتصف أرضهم، لا سيما في ظل السيطرة الإسرائيلية التي تشعر أنها هي من تمثّل أقلية، بل وأن الأعداد السكانية العربية تهدد مساحتها التي اختلقتها بمجهودها الاستعماري، وعليه فإن الصراع المتآكل ما بين ثقافتين أحدهما تضطهد الأخرى لا بدّ وأن يجعل من مجتمع القدس مجتمعاً آخذاً في التحول إلى ثقافة ثنائية القومية. (كمبرلينغ،2011)

رأينا بشكل تدريجي كيف تبدأ عملية إستعمار جماعة ما لجماعة أخرى، وهذا من خلال مقومات العملية الإستعمارية التي تبدأ بشكل أولي من الأرض، ومن ثم العمل نحو التفشي بشكل مُمَنهَج في

الجوانب الثقافية للشعب المُستعمَر. وهنا يبدأ جانب أكثر فتكاً في المعادلة الإستعمارية ألا وهو العلاقة ما بين المُستعمَر والمُستعمِر، وما يترتب عليها من إخضاع وإذلال للسلوك، وهو ما تطرقت إليه الأدبيات مسبقاً. وعليه، من واقع الإنسان الفلسطيني المقدسي الذي وُلد ويولَد في ظلّ الإحتلال، نجده يفتح عينيه على واقع إستعماري مفروض عليه، وكأنه أصبح جزءا ًلا يتجزأ من كينونته فهو يقع تحت وطأة دولة تفرض هيمنتها وسيطرتها على أرضه، وتجد لنفسها العديد من المبررات لتُثبت أن لها أحقية في أرضه أكثر منه، مُبتدئة ًبإمتلاك القوى المختلفة وحرمان من تستعمره من حريته وحقّه في تقرير مصيره، ومن ثمّ وصول هذا المُستعمَر إلى شعور الإنهزام وضعف السيطرة على مقومات حياته، وهو ما يجعل الشباب المقدسي العامل بشكل خاص والإنسان الفلسطيني في القدس بشكل عام في دائرة تُعيد إنتاج نفسها ويبقى حبيس الدوران فيها، في ظل متطلبات الحياة البسيطة التي تتهافت عليه وتجعله لاهثا ًلتحقيقأ أدنى حاجياته، إلى أن يجد نفسه مُستعمَرا ً بكل ما في الكلمة من معنى في واقع معيشي لا يدَ له فيه. هذا ما يمثّل المعضلة الحقيقة التي يحاول هذا البحث دراستها بتطرقه إلى تجربة الشباب الفلسطيني العامل.

الفصل الثالث

المنهجية:

إنطلاقاً من أساس دراسة الذهنية الإستعمارية من خلال تجربة فئة معينة من الشباب المقدسي العامل، فهذا الموضوع مثله كمثل أي موضوع إنساني في العلوم الإجتماعية لا بد وأن يتناسب مع منهجية معينة أكثر من غيرها، لذا فإن إتباع منهجية البحث الكيفي تتناسب أكثر من منهجية البحث الكمي مع ما تحاول هذه الدراسة التوصل إليه؛ وهذا لأن البحث الكيفي يتميز بآليته

الشمولية ذات النظرة المتصلة بل المنبثقة عن الواقع إلى حدّ كبير، وهذا يختلف عن البحث الكمي الذي بدوره أيضا ًيُخضع أي دراسة إلى مقاييس وأدوات معنية توصلنا إلى نتائج رقمية، ولكن يكون الهدف منه بالأساس التعميم و بيان مدى إنتشار الظاهرة، بينما يهدف البحث الكيفي إلى التركيز على فئة معينة غير مكتشفة من قبل. وبالتالي بما أن البحث الكيفي يبحث في إستكشاف الحالة من منظور معين لدى فئة معينة فهو أكثر ملائمة من البحث الكمي. (بوناماكي،1988)

إضافة إلى أنه من خلال البحث الكيفي تكون هنالك فرصة للباحث بأن يتحدث مع المبحوث فيما يتعلق بموضوع الدراسة، وأن يصغي إليه في حال قام المبحوث بسرد تجاربه وخبراته، وهذه ميزة من ميزات البحث الكيفي يفتقر إليها منهج البحث الكمي؛ حيث أن رواية الخبرة التي يقوم المبحوث بنقلها إلى الباحث تشكل جزءاً كبيرا ًمن كونه إنساناً، كذلك أنها تمثل وسيلة مساعدة للمبحوث للتغلب على أزمات حياته، حيث كلما كانت الأزمة أكثر إزداد أسلوب المبحوث السردي، وبالتالي من غير الممكن عمل هذا من خلال البحث الكمي (الكرمي، 1999).

من ناحية أخرى، و بما أن البحث الكيفي يتغلغل في فهم الظواهر، فإن هذا من شأنه أن يعزِّز الفهم في الدراسة وذلك كونه يتناول الموضوع ضمن أبعاد ومُدركات الموضوع الشخصية عن طريق المبحوثين الذين يتم الإستعانة بهم.(Yahia,2007) لذا، لا بد من خلال هذه الآلية المتينة أن يتم التعمق؛ فدراسة ذهنية المستعمَر(Colonial Mentality) للشباب الفلسطيني في القدس يتطلب التغلغل في جوهر هذا الموضوع، حيث أن تركيز هذه الدراسة أو بالأحرى دراسة هذا الموضوع بشكل معمّق للشباب الفلسطيني في القدس، ليس من أجل قياس آثار الإستعمار على المُستعمَر، بقدر ما هي تجسيد فعلي لواقع ولسياق الشباب الفلسطيني، وهو ما يؤثر بدوره على عواطف أولئك الشباب والتي تنبثق بدورها عن ارتباطها بهويتهم الجماعية. (Diaz&Garcia, 2003) فـــَــــــــــالذي يهمنا في هذا الصدد هو دراسة التجربة الإستعمارية كما يراها ويفهمها ويفسرها الإنسان المستعمَر.

وعليه، وفي صدد الحديث عن منظومة حياة بأكملها لجماعتين مختلفتين إحداهما تهيمن على الأخرى وتمثّل الجماعة الأقوى، والأخرى تمثّل الجماعة المضطهدة والمستضعفة؛ فإن ذلك يحدث في ظل اندماج وتفاعل كلّي لأسلوب حياة كامل يخضع لمعايير الجماعة الأقوى، والتي تُعتبر في حالة هذه الدراسة جماعة المُستعمَر؛ فتظهر بشكل كبير العلاقة اللامتساوية والقمعية بين الطرفين؛ يكون اتجاه التأثير دائماً من الطرف الأقوى نحو الطرف الأضعف. وبالتالي، قضية كهذه لا يمكن دراستها بإتباع منهجية البحث الكمي وهذا ليس إنتقاصاً من قيمته، بل لأن البحث الكيفي يشكّل بحدّ ذاته منهجاً مرناً يختلف عن الأرقام التي تُعطى كنتائج في البحث الكمي الذي يتخذ الرقم بشكل غير قابل للتغيير، بدون فهم التجارب أو الخبرة الشخصية المليئة بالجانب الشعوري الذي يحتاج إلى حسن الإتصال والتواصل بكافة حواس الباحث مع المبحوث. (Yahia, 2007) فهذه الدراسة تفحص بالدرجة الأولى مقدار الوعي الحقيقي الموجود لدى عينة من الشباب الفلسطيني المُستعمَر، وتفحص توجهاتهم إزاء الحالة الإستعمارية التي يعيشون في ظلّها، وبغض النظر سواء تُرجم هذا الوعي بفعلٍ حقيقي أم لم يُترجَم؛ حيث أن دراسة الوضع الإستعماري القائم حالياً في القدس بتحولاته ومكوناته هو المهمّة الأولى لهذه الدراسة. وعليه، يتطلب ذلك إستخدام منهجية البحث الكيفي الاستقرائي؛ حيث لا بدّ من العمل بشكل عميق ومن خلال الإختيار المتعمّد للشباب الفلسطيني الذي يحتكّ بشكل مباشر مع المُستعمِر؛ وهو ما يتيح فرصة القيام بمقابلات كيفية معمّقة، لا سيما وأن إتخاذ المقابلات كأداة بحثية من شأنه أن يساعد في جمع البيانات والمحاور، والإتصال بشكل مباشر مع خبرة الشخص كمبحوث (Parker,2007) والتوصل بشكل تدريجي إلى ما يتضمنه الظرف الإستعماري في القدس بكافة عناصره التي يعيشها هذا الشباب العامل بتجربته وإدراكه لها، وما يترتب عنها من تفسيرات لهذا الظرف.

مجتمع الدراسة والعينة: يتكون مجتمع الدراسة من الشباب الفلسطيني من أبناء القدس الشرقية التي إحتلتها إسرائيل عام 1967، ما بين (18-20) عام، وإشتملت العينة على 17 شاباً وفتاة واحدة، الذين يعملون لدى الإسرائيليين في القدس الغربية التي إحتلتها اسرائيل في عام 1948؛ الذين يحملون الإقامة ولا يوجد معهم هويّة مواطن، وحيث أن معظم الفلسطينيين في القدس

يعيشون في القدس الشرقية في ظلّ تقسيم إسرائيلي يرصد حياة المقدسيين اليومية؛ لا سيما الشبّاب والنساء، الذين ينشطرون ما بين هويتين ومجتمعين؛ المجتمع العربي في القدس الشرقية، والمجتمع اليهودي في القدس الغربية. (أغازريان، 2010) وبناءً عليه، فقد تمَّ اختيار (18) من الشباب الفلسطيني الذي يعمل لدى المستعمِر الإسرائيلي لما يُظهره من نقاط احتكاك بين الفلسطيني المُستعمَر في مكان عمله في القدس الغربية كالمراكز التجارية، المطاعم، وغيرها من أماكن العمل الاخرى. وتم إختيار أولئك الشباب وفقاً للعينة القصدية بطريقة **Snow bowling**. بمعنى آخر، سنحاول الوصول من شخص إلى آخر حيث يدلُّنا مبحوث على مبحوث آخر يستوفي شروط العينة.

وتجدر الإشارة إلى أنه رغم كون الباحثة في الواقع جزءاً لا يتجزأ من مجتمع الدراسة، إلا أن ذلك لم يشكل عائقاً أمام **قضية الموضوعية** في الدراسة؛ حيث أن إنتماء الباحثة لمجتمع الدراسة أتاح لها فرصة الوصول إلى الأفراد الذين استوفوا شروط العينة بسهولة أكبر؛ فخروج الباحثة بالبيانات من خارج الدائرة، وعرض النتائج ومناقشتها في سياق آخر ومن ثم التعديل عليها، ساهم في الحفاظ على مساحة جيدة من الموضوعية لا سيما وأن هذا حدث في ظل دخول الباحثة إلى مجتمع الدراسة بمدخل نظري اتكأت عليه. إضافة إلى أن كون الباحثة أنثى شكل تحدياً من نوعٍ آخر؛ مما يعني عدم تشابه الباحثة مع مجتمع الدراسة نفسها؛ فأغلب المبحوثين ذكور، وبالتالي أهدافهم وتوجهاتهم كمدخل في الدراسة يختلف عن مدخل الباحثة للدراسة نفسها؛ وهو ما يفسّر الثنائية النوعية في كون الباحثة تنتمي إلى مجتمع الدراسة وداخله، وفي الوقت نفسه هي خارج هذا المجتمع لا سيما وأن أهدافها كباحثة تختلف ولا تمثل نفس الأهداف الموجودة لدى أفراد العينة.

الإجراءات وأدوات الدراسة: بما أن المنهجية الرئيسة المتبعة في هذه الدراسة هي منهجية البحث الكيفي فقد تم اعتماد أداة **المقابلة الفردية المعمقة**، حيث نحتاج إلى معرفة خصائص الموضوع

والأسباب والدوافع الكامنة وراء سلوكيات أولئك العمال والتعمّق في أبعاد الموضوع نفسه، وإثارة الجوانب المتعلقة بالموضوع لدى العامل، والتي قد لا يعيرها اهتماماً كطبيعة العمل، وطريقة الحديث، والسلوك والمظهر وغيره. وعليه، تمّ تطوير أسئلة مفتوحة النهاية والتي تمَّ من خلالها رصد آراء وعواطف أولئك الشباب، وكذلك العلاقة ما بين عواطفهم وهويتهم القومية كطرف مُستعمَر. (Diaz & Garcia, 2003) وبالتالي، بعد الإتصال بالمبحوثين تم تحديد الزمان والمكان المناسبين، ومن ثم تمَ اللقاء مع كل مبحوث بعد شرح مبسّط له عن الموضوع، والقيام بالمقابلة التي تم تسجيلها صوتياً وتفريغها حرفياً، ومن ثم تحليل النص المكتوب للمقابلة وفقاً لآلية التحليل في النظرية المجذّرة.

وعليه، فإن **طريقة التحليل:** تمثلت من خلال تحليل البيانات وفقاً لمنهجية النظرية المجذرة **(grounded theory)** وأدواتها بشكل محوري وأساسي؛ كون النظرية المجذرة توجه عام لطريقة البحث وكونها منهجية إستقرائية **(Inductive)** في البحث الكيفي، و تعتمد بالدرجة الأولى على تشكيل محاور ومفاهيم نظرية ذات قيمة علمية، وهو ما إعتمدت عليه الدراسة الحالية؛ حيث بالرجوع إلى الواقع الموجود ودراسته ومن ثم الانطلاق منه نحو مرحلة التشبّع النظري، تم تشكيل مفاهيم نظرية جديدة تقيس الواقع كما يفهمه المشاركون أنفسهم؛ حيث تم العمل المبدئي مع المواد غير المحددة ومقارنتها، والوصول إلى مجموعة من التصنيفات والتفسيرات كبيان وصفي تحليلي للنظرية؛ ما يعدّ سبباً إضافياً لعدم الاعتماد على منهجية البحث الكمي الذي يقوم على فحص الفرضية بشكل إستقصائي. (كاميك، رودس ورادلي،2007) إضافة إلى أن تحليل البيانات من خلال النظرية المجذّرة ساهم في أن يتم تحليل المعلومات التي تمّ جمعها من قِبَل المبحوثين، وهو الذي يمثِّل الجوهر المميز في عملية التحليل هذه وفقاً للنظريّة المجذّرة؛ حيث هذه بدورها تتيح للباحث فرصة التركيز في المعلومات التي تشابهت لدى المبحوثين، ومن ثَمّ ربط هذه المعلومات في ظلّ تشكيلها جزءاً كبيراً من أبعاد ومُدركات المبحوثين الشخصية بالاتجاه نحو معرفة أين تتشابه وأين تختلف لديهم هذه المدركات من خلال تجربتهم الشخصية. (Stauss & Corbins, 1998)

وبما أن، النظرية المجذّرة تُعرف بأنها "إستنطاق تفصيلي ومنظّم ومرنا لمدىً من البيانات الأولية غير محددة البنية، والتي أُختيرت لعلاقتها الوثيقة بمشكلة موضوع البحث حيث النواتج التحليلية تضم موائمةً يمكن الدلالة عليها ومطابقتها مع موضوع البحث؛ فقد تم عمل ترميزات مفتوحة **Coding System** وإحاطتها بالتفاصيل التي انبثقت عن المادة النوعية كبيانات تم الحصول عليها، ومن ثم مقارنة هذه البيانات بشكل مستمر، وفحصها على أُسُسْ نظرية بشكل متواصل إلى أن يتم الوصول إلى مرحلة التشبّع النظري. (كاميك، رودس ورادلي،2007).

وعليه، تمثلت الخطوات، من خلال تفريغ البيانات وهذا بعد قيام الباحثة بقراءة النص المكتوب أكثر من مرة؛ وهو ما يعطي فرصة أخرى لأن يتم التوصّل إلى طريقة تصنيف النتائج في الدراسة من خلال محاور ذات مواضيع وقضايا تُشكّل معنىً لها. (Legiero, ET all, 2009) وبناءً عليه تمثلت خطوات التحليل وفقا لهذه المنهجية كما يلي:

المرحلة الأولى: وهي الترميز حيث تم تقسيم البيانات التي تم الحصول عليها من خلال عبارات المبحوثين التي كانت تتكرر بدورها وتحمل معنى متشابهاً إلى عناوين (كاميك، رودس ورادلي،2007)؛

المرحلة الثانية، من خلال تحليل ترميز العبارات في محاور (الترميز المحوري) عن طريق تسمية التصنيفات، فتمّ إعادة تصنيفها ضمن محاور في ظل أمثلة توضيحية تقع ضمن المحور الذي يمثل ذلك التصنيف. (Strauss & Corbins, 1998)

المرحلة الثالثة من خلال معاودة قراءة النصوص المكتوبة وترميزها بشكل انتقائي (الترميز الانتقائي) عن طريق أخذ اقتباسات من أحاديث المبحوثين؛ بحيث يعبّر كل اقتباس عن فكرة، ومن ثم تصنيفه ضمن كل محور من المحاور التي تتناسب وذلك التصنيف (Strauss & Corbins,1998)

وبعد أن تمّ الأخذ بالخطوات السابقة، تم التوصّل إلى مجموعة من المحاور التي نتجت من البيانات التي أدلى بها المبحوثون وهي 8 محاور كما يوضحها الجدول التالي. من ناحية أخرى تجدر الإشارة إلى أن هذه المحاور تمثل ما جاء به المبحوثون، وتوضّح مبدأ النظرية المجذّرة، وبما أنها تعتمد في الأساس على الرجوع إلى الواقع المعاش من طبيعة حياة كل مبحوث، ومن ثم الإنطلاق منه إلى التشبع النظري كما ينبثق من فهم ورؤية المبحوثين، وهو ما وضحته الخطوات السابقة، فإن هذا يُشكّل عملية متكاملة، كل جزئية فيها تُكمل الجزئية الأخرى. لذا، رأيتُ أنه لا بد من أن يتم توضيح هذه المحاور التي تحمل في طياتها المعضلة الحقيقية الموجودة في حياة الشباب المقدسي العامل؛ حيث من غير الممكن أن نستطيع فهم كيف تتلخص هذه المحاور الثمانية إلى ثلاثة محاور من دون أن نرى عملية التشابه والاختلاف في التصنيفات التي يتضمها كل محور، فعلى سبيل المثال نستطيع أن نرى حجم التخبط الهائل في المحاور (3/5)، ومدى التشابه في المحاور (4/2)، وكذلك الاختلاف الذي يتدرج من المحور (1)، ويظهر بشكل مختلف في كل محور جديد وفقاً لعملية الترميز الإنتقائي. ومن هنا نستطيع أن نفهم أكثر طريقة التحليل للبيانات وفقاً للنظرية المجذرة بشكل تطبيقي.

المواضيع	**أمثلة على المواضيع والبيانات**
1) استدخال الهزيمة الطبقي (الاستغلال الطبقي كظرف استعماري)	**يتصف الوضع المعيشي في القدس بالصعوبة، وهو ما عبر عنه أغلب المبحوثون؛ فهذه الصعوبة تنبثق أيضاً عن عدم توفر فرص العمل وزيادة الأعباء والمسؤوليات الحياتية التي يشعر الشاب الفلسطيني بأنها ملقاة على عاتقه . هذا بدوره يُحتّم على الشباب المقدسي ضرورة استغلال فرص العمل الحالية المتاحة أمامه، و التي يعمل فيها بالرغم من عدم شعوره بالرضا الكامل عنها وذلك حتى يستطيع تلبية احتياجاته في ظل الظرف الاستعماري الذي يعيش فيه .**
2) أثر الهوية الثقافية والهوية العرقية والعوامل	**عبّر المبحوثون بالفخر والاعتزاز كونهم ينتسبون لثقافة عربية وهوية فلسطينية، وهو ما يرتبط بوعيهم**

المرتبطة بهما	الذاتي لأنفسهم كونها تشكل جزءاً منها؛ وهذا الوعي الحقيقي لدى الشباب المقدسي لهويتهم وثقافتهم يرتبط بعامل الاختلاف الذي يشعر به الشاب المقدسي بينه وبين الشخص الآخر (الاسرائيلي) الذي لا ينتمي لنفس ثقافته وهويته. وفي نفس الوقت ملامسة هذا الاختلاف ما بين الثقافتين لا يعني عدم الإعجاب بالأمور الإيجابية الموجودة في ثقافة الآخر كما عبر المبحوثون عنها كالنظام واحترام الوقت. من ناحية أخرى ينبثق عن هذا الوعي الحقيقي شعور الشاب المقدسي بالمسؤولية تجاه ثقافته وهويته الفلسطينية من حيث أهمية المحافظة عليها والتصرف وفقاً لها وتجنب ما يخالفها في ثقافة الآخر؛ لذا يرى الشباب المقدسي بأن علاقته مع الآخر تتصف بشكل عمودي وفيها عنصرية وتحيز؛ فهو يرى فيه الرئيس الذي يختلف عنه والذي تعود إليه زمام الأمور لوضعه في العمل وبالتالي فإن هناك ضرورة في الاحتكاك مع هذا الآخر (الاسرائيلي).
3) ما بين الوعي الحقيقي وذهنية المستعمَر، وما بين المقاومة وضرورة العمل.	عبر الشباب المقدسي عن ضرورة الأخذ ببعض الاعتبارات المهمة؛ لما له من دور مهم في تيسير الوضع المقدسي المعاش في ظل الظرف الاستعماري، وهو ما يساعد أيضاً في الحياة العملية للشباب المقدسي؛ فتعلم اللغة العبرية أمر هام وذو أولوية في حياة الشباب المقدسي لما له من دور في معرفة التعامل مع ذلك الآخر، وكونه يمثّل وسيلة للشباب لأن يعبّر عن فكره ومبدئه للآخر وغيره كأخذ الملبس والمظهر بعين الاعتبار. وعليه، فإن هذا يرتبط بمقدرة الشباب المقدسي على تطوير أوضاعه العملية من خلال تعامله مع الآخر، لا سيما و أن الأغلب يهدف إلى لحفاظ على فرصة العمل التي يعمل فيها حتى وإن لم تكن المرغوبة، وهو بمثابة مقاومة للعامل. لذا فإن ما سبق يساعد الشباب المقدسي في الانتباه لحقوقه والمطالبة بها من خلال اللغه كوسيلة للتواصل وفهم ما يدور حول الشاب المقدسي كعامل في محيطه في حال أجبر العامل على التنازل عن بعض حقوقه وهو ما أشار له أغلب المبحوثون .
4) المستعمَر وحفاظه على أصالته	إن وجود مناخ يتضمن شخصاً من نفس ثقافة الشباب المقدسي ذي الثقافة العربية والهوية الفلسطينية، من شأنه أن يُشعر العامل براحة وسهولة لعمله في الظرف الاستعماري الذي يعيش فيه، ما له من أثر كبير في

	شعور العامل بأنه على مقدرة للتفاهم أكثر مع شخص من نفس ثقافته وهويته؛ وهو ما عبَر به المبحوثون لدرجة أن هناك رغبة شديدة للتخلص من الظرف الاستعماري كأمر اساسي وليس فقط الرغبة في أن يكون الرئيس في العمل عربياً فلسطينياً. وهذا لا يعني أن يعترض الشباب المقدسي العامل المعيقات المختلفة كضرورة المسايرة لكي لا يُفصل من العمل، والشعور في الاختلافات الفكرية بين هذا العامل والآخر الذي ليس من نفس ثقافته . إلا أن البعض قد لا يشكّل ما سبق أهمية لديه؛ فهو يرى أن مسؤوليته تتمحور حول حفاظه على وضع عمله قدر المستطاع حتى و إن واجهته معيقات، فلا بد له من التخلص منها كونه يعطي الأفضل في عمله وهو ما عبر عنه أحد المبحوثين .

المواضيع	أمثلة على المواضيع والبيانات
5) التذبذب ما بين الحاجة للأستقرار والشعور بالاغتراب والخوف من المجهول	غلب على شعور المبحوثين فيما يتعلق بوضع معيشتهم في القدس الحاجة في الوصول إلى الاستقرار؛ حيث أن العمل أو بالأحرى استغلال أي فرصة عمل متاحة أمامهم تعدّ نافذة على الاستقرار وتحقيق مصالحهم الشخصية. وأن الرضا بأي نوع من العمل هو بمثابة تضحية بالنسبة لذلك الشاب العامل، لا سيما وأنه يعي أن المستعمِر يستغل أيدي عاملة رخيصة من الخارج وبالتالي فهو ليس محور الاهتمام من قبل المستعمِر في إتاحة الفرص له وخاصة وأن هناك عمال آخرين يستطيعون استغلال هذه الفرص. وعليه، هذا يؤدي بالشاب المقدسي إلى التكيف مع واقعه المُعاش ليواكب المجتمع الذي يعيش فيه وهو ما يجعله في نفس الوقت يأخذ كافة الاعتبارات التي تساعده على التكيف مع الوضع الاستعماري الذي يعيش فيه مع الآخر، كأهمية التعرف على ثقافة الآخر (المستعمِر) وتقاليده، وهو ما يعطيه الثقة بالنفس والقدرة على مواجهة الصعوبات

	التي قد تعترض طريقه. ولكن في نفس الوقت فإن ذلك لا يعني أنه لا يشعر باغتراب لأن الآخر يمتلك قرار استمراريته في العمل .
6) التأرجح ما بين أزمة الهوية الثقافية والجماعية، والانسلاخ في الذهنية الاستعمارية.	**أكد أغلب المبحوثون على ضرورة تكاتف الفعل بين أفراد الجماعة المضطهدَة؛ حيث شعور الشاب المقدسي بالوحدة الاجتماعية وشعوره بالانتماء الفعلي نحو أفراد جماعته يشكل أمراً في غاية الأهمية بالنسبة للشباب المقدسي، وهو ما يرتبط في نفس الوقت بشعور الانتماء لديه بالمكان (القدس) وارتباطه به، إضافة إلى أن هذا التأكيد منبثق عن شعور الشاب المقدسي بالسلوكيات العنصرية التي يتعرض لها من قبل الآخر (المستعمِر)، والذي يسعى دوما في إرهاق المستعمَر وحرمانه من أبسط حقوقه كالراحة في أوقات العمل. ومن ناحية أخرى فإن وجود كل ما سبق في ظل حاجة الشاب المقدسي في الوصول إلى الاستقرار وتلبية احتياجاته يؤدي به إلى التأقلم مع الواقع في أغلب الحالات والخضوع الى مطالب الآخر الذي بيده قرار بقائه في العمل أو فصله منه، وهو ما يجعله ينسلخ بالواقع الهزيمي الذي يعيشه والذي من خلاله يحتاج إلى أن يستحسن كل الفرص المُعطاة له والتي تسخرّها له دولة الاستعمار بغض النظر عن جودتها.**
7) التذبذب ما بين تقدير الذات والحاجة إلى التكيف مع الآخر، وتقبّل ثقافته.	**كان هناك تأكيد كبير من قبل المبحوثين على تقديرهم لذاتهم من حيث احترامهم لذاتهم واحترام كرامتهم الإنسانية، والإيمان بقدرات الصمود والتحمّل الموجودة لديهم؛ فهذه القدرات تساعدهم في التعامل مع الآخر وفي علاقتهم معه ومعرفة أي المداخل يستطيعون من خلالها التأثير في الشخص الآخر (المستعمِر)، خاصة أن هذه العلاقة تحكمها مصلحة متبادلة من كلا الطرفين؛ وعليه، يؤدي ذلك بالشاب المقدسي إلى أنه يريد كسب رضا المسؤول في عمله، لا سيما إن أراد أن يتقدم في عمله، أو كان يسعى لتحقيق أمور معينة في تجربة عمله، ولكن بدون إنكار احترام كرامته. وبالتالي فإن هدف الشاب المقدسي في الوصول لما سبق يجعله يتقبل أي التزامات طارئة في عمله، والتي ليس بالضرورة أن تكون ضمن المهام الموكلّه له، كالعمل في أيام العطل. مما يجعله يتكيف مع الآخر ويتقبل عدم عدالته في معاملته، ويؤدي به إلى أن يفسر ويرى ذلك ضمن**

	الوضع الطبيعي الذي اعتاد عليه.
8) ما بين التأكيد على الشعور الجمعي والحفاظ على صورة إيجابية أمام الآخر، والحاجة الى أخذ الحيطة والحذر من الآخر	**عبر الشباب المقدسي عن ضرورة الانتماء إلى أفراد الجماعة الأصلية؛ حيث أن حاجتهم إلى الشعور بالتعاضد والتكاتف تعتبر من أهم العوامل التي تساعدهم على الاستمرارية، فمن المهم أن يُشعر الشاب المقدسي المستعمِر بأنه يقدر ذاته ويحترمها، وأنه يحترم أيضاً ثقافته وهويته الفلسطينية وجماعته التي ينتمي إليها. وهو ما يجعله يشعر بأنه في اختبار دائم مع الآخر المختلف عنه، وهذا الاحتياج منبثق من كون الشاب المقدسي واعياً لوجود أفراد من نفس جماعته وثقافته يقومون بإيصال الفكرة المعاكسة لذلك، كطريقة تفكير المستعمِر بأن الفلسطيني لا يؤتمن وأنه سارق حتى في عمله . وعليه، فإن هذا يجعله يتوقع تلقائياً معاملة سيئة من قبل الآخر فهو يعلم بأنه لا يثق به ولن يثق به مهما طال الوقت، وبالتالي يشعر الشاب المقدسي نتيجة ذلك بأنه يجب أن يكون على أتم الاستعداد لأخذ الحيطة والحذر من المستعمِر الذي حتى وإن كان الفلسطيني صادق في التعامل معه إلا أنه لا ولن يقدر ذلك.**

ومن خلال المحاور السابقة نستطيع ملاحظة عملية التشبع النظري التي إستندت بالأساس إلى الأبعاد والمُدركات الشخصية لدى المبحوثين والتي تلخّصت في 3 محاور مُوضحة في الفصل الرابع بشكل تفصيلي.

الفصل الرابع

نتائج الدراسة :

وبعد التطرّق إلى تجربة بعض الشباب العامل لدى المُستعمِر في القدس، يظهر أن كافة التحولات التي يعيشها هذا الشباب تختلف من مبحوث لآخر، وتؤثر في كل شخص منهم بشكل متفاوت. وعليه على المستوى النظري ووفقاً لآلية النظرية المجذّرة تمثلت النتائج فيما يلي :

1- العامل الاقتصادي :استدخال الهزيمة الطبقي (الاستغلال الطبقي كظرف استعماري):

يتضح أن الشباب المقدسي يعيش أوضاعاً معيشية صعبة تتأرجح ما بين سعيه لتلبية إحتياجاته ومتطلبات الحياة التي يعيشها، وما بين عدم مقدرته على رفض الفرص المتاحة أمامه في الظرف الإستعماري الذي يحيا؛ فتزايد الأعباء الحياتية والمسؤوليات التي يشعر الشباب المقدسي بأنها ملقاة على كاهله، في الوقت الذي يطمح فيه أيضاً إلى الإستقرار العلمي والعملي والمادي، تجعل من الشاب المقدسي غير قادرٍ على رفض أي فرصة عمل متاحة أمامه، حتى وإن لم يشعر بالرضا الكامل عنها، وهو ما يؤدي بالشباب المقدسي إلى أن يصبّ جلّ إهتمامه في الحفاظ على فرصة العمل ليعيل نفسه من خلالها، خاصةً وأنه مدركٌ تماما بأن قضية إستغلاله للعمل المتاح بين يديه أمرٌ لا بد من حدوثه؛ وذلك لأن أي فرصة عمل يرتبط وجودها بالآخر (المستعمِر) الذي يمتلك الإمكانيات والقوى والتي بدورها ليست موجودة لدى الشباب المقدسي كظرف في هذا الظرف الإستعماري الذي يشعر بصعوبة الحياة فيه وهو ما أكد اغلب المبحوثون عليه:

"وضع القدس اقتصادياً بيتراجع عمالو شوي شوي وكله بسبب ظروف الاحتلال برضو يعني العمالة بنسبه كتير كبيرة يعني أنا ساكن بمخيم شعفاط بشوف نسبة العمالة كتير كبيرة ونسبة العمال كتيرة وهدا وضع عنجد مزري وكتير في عمال عند اليهود. وبالنسبة الي وضع المعيشه في القدس صعب كتير يعني كل واحد مثلاً للطفل الصغير صار في تراجع في وضع التعليم وتراجعت نسبة التعليم وصار الكل الاغلبية يشتغلوا عند اليهود والثقافة تراجعت صارت معظمها ثقافة اليهود"

إن ما سبق يعني وجود المستعمَر والذي هو هنا الشباب المقدسي في وضع إستدخال لهزيمته، فالهزيمة كما ناقشها سمارة في كتابه *"اللاجئون واستدخال الهزيمة"* في المجتمع الواحد تعني أن

الطرف الأقوى يبدأ بالسيطرة، ومن ثم بالهيمنة، وهذا أسهل له، مما يعني خضوع الطرف الآخر أولا للسيطرة ومن ثم التعوّد عليها أو التطبُّع بها، وبهذا يحصل نوع من الإستقرار، أو التوازن الإجتماعي في البلد الواحد أو الاستقرار في علاقة التابع والمتبوع. (سماره،2001) وهو ما يظهر ايضاً كهدف واضح لدى هذا الشباب :

"وانا بذكر موشيه ايان حكا راح اوصّل اهل القدس لمرحلة انهم يركضوا بس في سبيل انهم يجيبوا لقمة عيشهم وهدا هو لبنعيشوا اليوم. الواحد يا دوب بكون اخوه عنده بنفس العمارة ما بيشوفوا بس في الشهر مره بس بيركض في سبيل انه يلاحق لقمة عيشه."

وعليه، فإن هذا يرتبط بالحالة الإستعمارية التي يحدث فيها لقاء ما بين طرفين مختلفين عرقياً وثقافيا، وهو ما يحدث تماماً في حالة الشباب المقدسي؛ بحيث أن هذا اللقاء يتم عندما يكون العرق الغريب والأقل عدداً هو في الحقيقة العِرق المُسيطِر إجتماعياً وإقتصادياً، وذلك نتيجة تحكُّمِهِ وسيطرته على مصادر القوة الإجتماعية، الإقتصادية والسياسية، و تتحقق هذه السيطرة ويتم تسييرها من خلال القوة العسكرية والتفوق المادي الذي يملكه العنصر المُهيمن." (Jinadu,1976, p.604) وهو ما ظهر من خلال أقوال المبحوثين.

يظهر من ناحية أن الشباب المقدسي يؤكد على ضرورة إحترام ذاته وكرامته الإنسانية؛ وهذا الإحترام يستمد أهميته لدى الشباب المقدسي العامل كونه يمثل بنظره جزءاً لا يتجزأ من احترامه لوطنيته وكرامته كمقدسي فلسطيني؛ فكونه مقدسياً وفلسطينياً يُحتِّم عليه ضرورة الإلتزام والإنتماء إلى ثقافته وهويته التي تُعتبر جزءاً من ذاته. ولكن من ناحية أخرى، وصول الشاب المقدسي لمرحلة من مراحل تقدير الذات في ظل الظرف الإستعماري الذي يعيشه لا يعني بأنه لا يبحث في الوسائل والأساليب كاللغة وغيرها، التي تساعده على أن يفهم المستعمِر، أو بالأحرى تُسخِّر له إمكانية التقرب من المستعمِر وتقبّل ثقافته لكي ينجح في التكيّف معه. حيث يؤكد الشباب المقدسي العامل في القدس على ضرورة تقبّل المستعمِر والتأقلم مع الظرف الإستعماري، لا سيما وأن البدائل الموجودة أمامه نادرة ويصعب التخلي عنها. لذا، فإن الشاب المقدسي يرى أنه يتوجب

عليه أن يكسب رضا من يعمل لديه في الظرف الإستعماري، ولكن بالشكل الذي يضمن له إحترامه لذاته وكرامته الإنسانية، وليس على حساب إخلاصه أو إنتمائه لمن هم من نفس ثقافته وجماعته. في حين أن كسبه لرضا الآخر مستمَدٌ من ضرورة تأكيد الشاب المقدسي على أن يصل إلى مستوى جيد في عمله، بالشكل الذي يضمن له الترقية و إشغال مناصب جيدة؛ خاصة وأنه يرى بأن اليد العاملة من الخارج تصل الى ترقية وتقدُّم في العمل، بينما هو كمقدسي لا يتسنى له الحصول على هذه الفرصة؛ وعليه فهو يشعر بأنه أقل أهمية من العامل الذي يأتي كيد عاملة من الخارج.

" انا بقول الشغل فتره مؤقته بس كل واحد بيتمنى يوصل لاشياء معينه.. مرات بقول لامتا بدي اضل شغيل انا صارلي مرات بنفس الفتره اكتر من سنتين بيجي شغيل جديد هو بيترقى طب ليش؟؟ مرات بسال ليش ما اصير مسؤول حتى لو لفتره بسيطه؟؟ اترقى وبطلَع وبحاول اغير مرات اشوف شو في تغيير وازا بدي اغير بغير بنفسي بثابر بصير شغيل احسن بحترم القوانين اكتر واطبق القوانين يعني صح هي مرحله مؤقته بس بتضمنيش الحياة انه تشتغلي بالشهاده او لء وازا مشتغلتيش بشهادتك بتتضطري تشتغلي عند اليهود بغير شهادتك والواحد فينا لو يصير عمره كبير بحبش يشتغل شغله بسيطه عشان هيك لازم يتعلم بس بتعرفيش الحياه شو ممكن تسوي...الكل بيتزبزب بالشغل وهاي الشغله الوحيده السيئه حلو يكون هيك بس مش عحساب اخوه العربي يعني في شغيله عندهم هيك بيتزبزبو للرئيس بيجي بيشكل عنه ... يعني بفتن؟ اه بتكون فتنه او تزبزب او مسلا بروح في شغله عشغيل معين بروح يحكي انه هو سواها وهداك لء حلو بس كمان مش مش عحساب غيره يعني بدو يخلص مصلحه والكل في الاخر راح يقبض فمش غلط الواحد يتعب"

إن هذا بدوره يرتبط بما جاء في الجنس البشري و علم نفس المسُتَعمَر حول العلاقة ما بين الحقد للجنس البشري ومهنة الإستعمار؛ فما هو مشترك في الحالة الإستعمارية هو الوعي بعالم أو منظومة الآخر والرغبة الشديدة في الوصول إلى الإحترام. وعليه، فإن سلوك المستعمَر يتعلق بالظرف الإستعماري، فهو في محاولة دائمة لأن يحقق أو يلبي إحتياجاته الأساسية وأن يبتعد عن المخاوف أو المقلقات التي يشعر بأنها تحيط به، ومن ناحية أخرى فإن المسُتعمِر هو الباحث عن

عالم يكون فيه المسيطِر ويسلب الآخر المساواة ويحرمه منها. ومن ناحية أخرى، فإن هذا يدل على ما أشارت إليه الأدلة الإمبريقية العلمية من وجود ارتباط أو علاقة بين الذهنية الإستعمارية وبين الرضا عن الحياة التي يعيشها المضطَهَد؛ وهو ما تم البحث من خلاله فيما يتعلق بوضع الأقلية الفلبينية؛ بمعنى أن المضطَهَد الذي إستدخل الثقافة الأمريكية يشعر بعدم الرضا عن حياته؛ أي بأن التوافق النفسي الذي لديه قليلٌ جداً، وكذلك الأمر بالنسبة للعلاقة ما بين إستدخال الهزيمة والإلتزام الثقافي، والإمتثال نحو ثقافة الآخر والهوية العرقية، والرضا الحياتي للمضطَهَد. (Mcculloch, 2006)

ومن هنا لا بدّ للشاب المقدسي لكي يعرف كيف يكسب رضا من يعمل لديه، أن يتقبله بثقافته وأساليبه كي يستطيع أن يتعامل معه، وهذا التقبّل لا يكون فقط في الثقافة أو تقاليد المستعمِر، بل أيضاً في العمل نفسه وعلى حساب حقوقه، حتى وإن تطلب منه الأمر أن يعمل في يوم عطلته الرسمية. ولكن، إن ما سبق يوفّر إمكانية لدى الشاب المقدسي في حدوثه وتقبله ما دام الأمر يحدث له كعامل في حيّز مكاني يرتبط ببيئة العمل. ولكن لا يعني أن يتم تقبّله في حيز مكاني يرتبط بخصوصية مكانية لدى الشاب المقدسي وهذا يتضح أكثر من خلال ما يلي:

"اتعودت عالعيشه هون تعودت عالحقوق لبعطوني ياها عالدفع لبدفعلهم ياها.. وكمان مرات اشتغل يوم جمعه ومرات يوم سبت عطلتهم ممنوع هم يشتغلوا والايام العاديه جزء من الشغل هم بيشتغلوا ولا اشي بيعملو وفي عيدنا احنا بنشتغل ورمضانين مره بلشت وخلصت برمضان ..وكمان بعيادهم ما بنعطل لانه همن بيعطلو بس احنا بكل الحالات ممنوع نعطل وازا المعلم مش منسقلي من قبل اعطل ما بيطلعلي بغض النظر عن معاملته ومكانش منيح..بما انهم محتلين ارضنا مشتتينا معجبين علينا مش مخلينا نوصل لكل المحلات الاشي جد بيدايق..ما كان يهمني يعني شغل ومحتاج مصاري وعندهم احسن بس هادا الاشي موجود بالعقد وعندهم حرام بعيدهم يشتغلوا واحنا العرب مناكل هوى ايش بدي اعمل انا معتازهم ومحتاجهم .. ما بلاقي اربع سعات بمبلغ متل هدا وبالوقت هدا بس يعني كنت احكي امشي وبتخلص وبتبطل من هدا الشغل"

وهذا يعني أن يُمنهج المُستعمِر عملية إستعماره لذات المُستعمَر من خلال وضع الشكليّة التي ينبغي أن يظهر من خلالها أمام المُستعمَر، فيجب أن يرى المستعمَر نفسه مثالاً على الضعف في ظلِّ شعوره بعقدة النقص؛ وهو ما يجعله يتقبّل تدريجياً وضعه الإستعماري ويتعايش معه، وهذا في غاية الأهمية لما يرتبط بمسألة الهويّة الجماعية، حيث أنه و بهذه الطريقة تصبح الهويّة العرقية لدى المستعمَر متمثّلةً في مجموعة من العواطف السلبية التي يحملها عن نفسه وعن أبناء شعبه. (Diaz&Garcia, 2003) .

وهو ما يظهر بقوّة لدى المستعمِر كونه يعاني من عقدة النقص وقلة الإعتماد على ذاته التي تحدث له عندما يشعر بوطأة الإعتماد على الآخر؛ فيشعر بحدة المصيبة، وصعوبة التخلص من شعور العنف والعِداء تجاه المستعمِر؛ أي أنه إتجه بشعور عقدة النقص التي تحدث لدى المسُتعمَر من خلال نوع معين في الشخصية توجه الإرادة الذاتية لديه؛ فليس حتماً حدوث تغيرات في شخصية المستَعمَر، ولكن ما يحدث هو كونها تمثل سمة تميّز الإستعمار في نوعيات إضطهادية مختلفة (ظروف اضطهادية)؛ وعليه فإن الشرط الأول لإعتبار حدوث الحالة أو الظرف الإستعماري، هو الإعتمادية على الآخر. ومن ناحية أخرى قد يتم إعتبار أن العنصرية تخدم أهدافاً سياسية وإقتصادية، يمكن إعتبارها محاولةً لإنكار وجودها بهدف إضطهاد أو قمع الآخر، أيّ أنّ هناك ارتباطاً ما بين العنصرية الإستعمارية والشعور بالذنب تجاه الجنس البشري؛ من خلال وجود عقدة النقص في هذه العلاقة الإستعمارية من حيث شعور المستعمَر بحاجة الإعتماد على المُستعمِر. (Mcculloch, 2006)

"بالاخر لئيم ما بوصفها بعنصريه كمان ما بحط حالي محله ما بعرف ايش ممكن اسوي ممكن اضطهده لو كنت محله بس كنت رضيان مع انه مش صح .. صح بتعطيني حقوقي بس هاد حق من حقوي فبترجم كلامي انه مش عنصريه لئامه او شوية تمييز.. بس مره استفزني موقف سكناجي ممرض هو حرام كان منيح وكنت احبه معمروش سوى موقف عنصري معي بس مره قاعد في الاقصى شفته قاعد جوى بس لما رجعت محكيتش معه مش لانه كرهته بس مش بلدكوا مش محلك شو نزلك ارجع من وين ما لمتك حكومتك من وين ما جابتك"

من هنا نجد أن شعور الشباب المقدسي بصعوبة الوضع المعيشي المُثقل بالمسؤوليات الملقاة على كاهله، لا سيما في ظل عدم توفّر فرص العمل؛ ما هو إلا تجسيد حقيقي لإستدخال هزيمة طبقي مغلّف بالإستغلال من قبل العنصر المُهيمن والذي يعمل لديه هذا الشباب كقوة عاملة؛ وهو ما يجعل هذا الشباب المقدسي يتذبذب ما بين تقديره لذاته تارةً، ويشعر بأنه بحاجة لأن يتكيف مع مستعمِرَه، ويتقبّل ثقافته تارة ً أخرى لا سيما وأنه يعمل لديه. لذا، تظهر أغلب المعيقات التي يتعرض لها الشباب المقدسي من خلال الإختلاف في وجهات النظر، كون العلاقة في الظرف الإستعماري تتمحور من خلال طرفين يختلفان ثقافياً وعرقياً وأحدهما المهيمن على القوى، وكذلك اللغة العبرية، خاصة وأن هذا الشباب يتعرّض للإحتكاك المبكر مع الآخر، فلا يكون قد وصل لمراحل جيدة في إتقان اللغة العبرية. كذلك تبدو المعيقات موجودة على صعيد العلاقة نفسها بين الشباب المقدسي والمسؤول عنه في العمل والمختلف عنه في ثقافته وهويته؛ فيكون من الصعب على الشاب المقدسي العامل أن يُسخّر هذه العلاقة مع ذلك الآخر بالشكل الذي يريده، كإمتثال الشاب المقدسي العامل للأوامر والقيام بمهمات ليست من ضمن مهام عمله وهو ما عبر عنه بعض المبحوثين :

"انا مره صارت معي موقف انا كنت اصفط الخضره وهيك ف طلب مني المسؤول اني اروح اجيب خضره من المخزن وهدا مكنش من ضمن شغلي وحكتلو هدا مش شغلي ودي واحد تاني يروح يجيب حكالي لء روح انت وانا بستلم محكلك وانا حكتلو لء حكالي ازا بتضل ترفض طلباتي هيك انت مش راح تكمل شغل وحكتلو زي مبدك يعني الواحد بتضل كرامته فوق كلشي".

وبالتالي، إن مواجهة الشاب المقدسي لمثل هذه المعيقات تجعله يفكر في بعض التحديات التي تصبح لديه كرغبة للقيام بها، وهو السبب الذي يفسر تأكيد أغلب المبحوثين على أمنتيهم في أن يكون المحيط الذي يعملون فيه يتسم بجو ثقافتهم العربية، وأن يكون كل شيء يحيط بهم عربياً وفلسطينيا ًبحتاً، وليس هذا فقط، بل يصبح تفكير هذا الشاب العامل متمحوراً حول الأمر الأساسي والذي يمثل الظرف الإستعماري بالنسبة له؛ فيأخذ تفكيره مناحٍ مختلفة وأبعد، كالتفكير في

التخلص من الإحتلال لأنه يرى بأنه هو النقطة الرئيسية التي تقف وراء كافة أسباب صعوبة وضعه :

"هون في شخص وانا هون تحت احتلال الواحد لما يفكر بيفكر وقتيش بدي اخلص من الاحتلال مش كيف بدي اخلص من مرؤوسي اليهودي وبيجوز بوظيفة تانيه يكون مرؤوسي عربي بس برضه بيضل تحت احتلال."

في حقيقة الأمر،يقودنا هذا الى أن الشباب المقدسي يشعر بأهمية تأكيده لذاته، فرفضه لأبسط إشكاليات العلاقة بينه وبين الآخر كانتباهه لمهامه الموكلة له في عمله، وأن لا يتعرض للاستغلال العملي بالرغم من إدراكه لمدى احتياجه للعمل ورفضه الرضوخ، كذلك تفكيره في وضعه بشكل محوري وأساسي، إنما هو منبثق عن تجربته الواقعية مع هذا المستعمِر، و وعيه للظرف الاستعماري الذي يعيش فيه؛ مما يعني أن هذا الشباب المقدسي العامل هو في عملية بحث مستمرة عن أصالته، وفي الوقت نفسه في خضم مشروع مستمر يتم من خلاله اقتطاع جزءٍ من ذاته. وعليه، كيف يمكن له الحفاظ على هذه الأصالة؟ وهذا من أهم التساؤلات التي حاول أمين معلوف طرحها في كتابه "الهويات القاتلة"؛ حيث أن تأكيد الفرد لذاته لا بدّ وأن يترافق مع إلغاء الآخر، وهذا ما يفسّر الواقع الاستعماري حين تكون هناك جماعة ما تقوم بفرض سيطرتها على جماعة أخرى. (معلوف،1999) و يرافق هذا أيضا ًأساليب قهرية تحطّ من كرامة الإنسان وقدره، وتجعله تحت ضغط نفسي وشعور بالخوف والتهديد المستمر، دون أن يكون له القدرة على مواجهتها أو المساهمة في تغييرها؛ وهذه بدورها تجعل الإنسان المقهور يبحث عن مرتكزات تشكّل له حماية كاذبة تمنحه القوة والإرادة على الإستمرار في الحياة، وتقبّل تعَسُفِّها وشقائها غير العادل طمعاً بحياة أفضل في عالم آخر تسوده العدالة والمساواة. (الربيعي،2007)

ومن هنا يرى معلوف بأن هناك إمكانية لأن يصبح ذلك المجتمع المستعمَر عرضة للتوتر وتصاعد العنف، لا سيما في ظل وجود إختلافات بين الجماعتين، و قد يكون هذا بسبب الإختلاف في الديانة، لون البشرة، أو عدم الإنتماء للثقافة الأصلية ذاتها، فهل هو قانون صراع

البقاء أم هو قانون التاريخ الذي يحكم على البشر بالتناحر بإسم هويتهم. لذا، قد يُحتّم ما سبق بأن تكون الهوية في وضع أكثر تعقيداً، وهو الوضع الذي يجد المُستعمَر نفسه فيه غير قادرٍ على الإضطلاع بشكل كامل بالواقع الإستعماري الذي يستنزفه، ويتوجب عليه الإختيار ما بين وعيه لإنتمائه وجماعته وما بين تقبّله للمستعمِر كجماعة أخرى موجودة قهراً مقابل جماعته. (معلوف،1999) وهو ما ظهر بشكل واضح لدى الشباب المقدسي.

2- الهوية الوطنية:

تشكِّل الهوية الثقافية والهوية الوطنية جزءاً مهماً في إدراك الشباب المقدسي لذاته؛ فمن خلالهما يعرّف نفسه بأنه عربي فلسطيني، وهو ما يجعله يشعر بالفخر والإعتزاز كونه جزءاً منهما. إلا أن هذا الإدراك العميق، والذي يعي الشاب المقدسي من خلاله ذاته ودوره في الظرف الإستعماري الذي يعيش به، يترتب عليه أن يدفع المقابل الذي ينتهك جزءاً من إحترامه وإحترام هويته الثقافية والقومية؛ فتعرّض الشاب المقدسي العامل إلى التمييز والعنصرية يتمّ على أساس الإختلاف ما بين ثقافة الشباب المقدسي وثقافة الآخر. (المستعمِر) إضافة إلى أن هذا يرتبط بالهوّة التي تتكون عند الشاب المقدسي العامل نتيجة تعرّضه لمقدار من التمييز والعنصرية في محيطه، الأمر الذي يجعله يشعر برغبة عارمة في التخلص من كل ما يتعلق بالمُستعمِر في جميع مناحي حياته؛ فيصبح أكثر حساسيةً تجاه مخلفات الظرف الإستعماري الذي يعيشه، ولعلّ أكثرها شيوعاً مشاكل المعابر، وصعوبة التنقّل من مكان إلى آخر بين القدس والضفة الغربية. لذا، فإن هذا الشباب المقدسي يرى بأن هناك عدة مسؤوليات تترتب عليه كونه جزءٌ من هذه الثقافة والهوية الفلسطينية. وفي الوقت نفسه، إن هذا يخلق صراعاً داخلياً لدى الشباب المقدسي العامل، حيث أن في اللحظة التي يتعرض فيها لتفتيش أثناء تنقله بين مكانين مختلفين من قبل شخص مستعمِر في حالة إستعمارية بحتة كما في المعابر، هنالك لحظة أخرى يتوجب عليه فيها أن يتعامل مع مسؤول العمل لديه، والذي يُعتبر من نفس ثقافة وهوية المُستعمِر الذي كان يمثل له الحالة الاستعمارية على ذلك الحاجز. وبالتالي، من الصعب على هذا الشاب العامل أن ينسى أنه في كل مرة يتعامل ويحتك بشخص يختلف عنه في ثقافته وهويته، لا سيما أن هذا الاختلاف ناتج عن شعوره

بالتمييز والعنصرية في بعض مناحي حياته التي يعيشها. وعليه؛ فإن شعور الشاب المقدسي العامل بالتمييز والعنصرية في عمله كجزء من عاطفته السلبية تجاه المستعمِر، منبثق عن شعوره بأن هذا المسؤول من نفس ثقافة المستعمِر على ذلك الحاجز؛ أي أن كليهما تجمعه بهما علاقة عمودية وهو ما جاء على لسان بعض المبحوثين :

"طبعاً في تمييز لانه اغلبية المسائيل المدراء في الاوتيلات بميزوا بين العامل الاسرائيلي والفلسطيني...وانا بشوف مسؤولياتنا انه بدنا نتخلص من المشاكل اللي بنواجهها على المعابر بنواجه صعوبه كبيره لما الطالب المقدسي يطلع على الجامعه ويرجع من الجامعة بدو ساعات."

ومن هنا، نجد أن الهوية العرقية تلعب دوراً مهماً في العلاقة الإستعمارية بين المستعمِر والمستعمَر، ولكن ليس كما جاء به بحث ديفيد وأوكازكي وصولاً لمرحلة يتم فيها إستدخال الإضطهاد لدى ذلك المستعمَر، الذي يدور حول الذهنية الإستعمارية بشكل محوري؛ فوضّح أثر إستدخال الإضطهاد على الأقلية الفلبينية في الولايات المتحدة كمستعمَرين (David & Okazki,2006)، وهو ما يرتبط أيضاً بجزئية الغزو الثقافي التي تطرق إليها فريري موضحا أن الغزو الثقافي، سواء كان بشكل مباشر أم غير مباشر، لا بدّ وأن يظلّ عملاً عنيفاً ضد أشخاص تتعرض ثقافتهم للغزو، ويفقدون أصالتهم أو يواجهون خطر فقدانها. ففي الغزو الثقافي، يكون المُستعمِر هو السيّد، وهو من يضع قوانين الحياة للمُستعمَر الذي يكون في نظر المُستعمِر شيئاً يفعل به ما يشاء، فيصل المُستعمَر إلى الإتجاه الذي يختاره له المُستعمِر جاعلاً المُستعمَر يعتقد بأنه هو من يقود طريقة حياته ويختارها. (فريري، 2003). من ناحية أخرى، فما يحدث لدى الشباب المقدسي يخالف هذا النوع الضخم من الأدبيات؛ حيث أن إدراك الشاب المقدسي العميق لهويته الفلسطينية يرسّخ فيه وعيه نحو المسؤوليات التي تقع على عاتقه؛ كونه جزءٌ من هويته العرقية في سياق إستعماري، وهو ما يمثّل الأمر الجديد في هذه الدراسة التي تتناول الهوية العرقية في سياق استعماري. ومن ناحية اخرى، حتى وإن كان هناك توجهات أخرى لدى مبحوثين آخرين من الشباب المقدسي، إلا أن ذلك لا يعني وصولهم إلى تشويش في هويتهم

العرقية والإعلاء من شأن المستعمِر وثقافته، بل قد يساهم في تعزيز هوية هذا الشاب المقدسي العامل ونظرته إلى من تجمعه بهم نفس الثقافة والهوية والتعاطف معهم أكثر:

"كلنا هون عرب وانا موجود في محل اسرائيلي بس طالما موضوع شغلي لا بيأثر على ثقافتي وديني ولا على اي اشي ما بتعارض على هدا الموضوع انا مبسوط كعربي وعندي 35 عربي ولو كان المسؤول عنهم في التنظيف يهودي مصيبه وضعهم حيكون..وشوفي فرص العمل قليله جدا جدا وانا هون بيجي في اليوم لا يقل عن 10 اشخاص ببحثوا عن عمل واللي قاعد سنه وسنه ونص وفي ناس عندهم عيل فبشوف من مسؤوليتي تشغيل هدول الشباب الموجودين لانه لما يكون المسؤول عنهم واحد عربي زيهم بيختلف عن ما يكون يهودي."

نلاحظ أن هذا يرتبط بشكل وثيق بنظرية الصراع الواقعي بين الجماعات؛ حيث أنه عندما يكون هناك صراع في المصالح بين جماعتين، فإن هذا يساعد في ظهور الأفكار النمطية السلبية، والتعصب نحو الجماعة الأخرى؛ فكل جماعة من الجماعتين تتحيز لنفسها ضد الجماعة الأخرى؛ فتصبح الأفكار النمطية عن الذات أكثر إيجابية، في حين يتم إدارك الجماعة الخارجية (المسيطرة) من خلال مجموعة من الأفكار النمطية السلبية (المستكاوي،2007). و هو ما ظهر مسبقاً على لسان المبحوث. وبذلك، نجد أن الهوية الثقافية والعرقية تؤثر في طريقة تفكير الشباب المقدسي، ولكن ليس بالضرورة بنفس الطريقة التي أشار لها المستكاوي، ولعلّ من الأدلة الواقعية الأخرى على إختلاف هذه الدراسة ما أتت به إحدى المبحوثين :

"شوفي همه بكونوا عقلانيين ومنطقيين..شغل شغل، تأخرتي لازم تتحاسبي لازم تجبيلهم عذر ماشيين على القانون يعني بس من ناحية ثانية بقول لو انه عربي مش راح تكون المعاملة هيك أكيد راح تكون شوي رحمة رح يعذروني مش زي مهمه حادين وصارمين بحب المساواة تبعتهم بحب الحق عندهم."

وهذا يوضّح كيف تصبح ثقافة المُستعمِر الثقافة البديلة للمُستعمَر فيذوّتها ويستدخلها مكان ثقافته الأصلية، و هذا يؤدي إلى حدوث إستدخال ملحوظ وكبير على ذات المُستعمَر التي بدورها تُشكلّ ثقافته المتمثلة بهويّته وعواطفه ومشاعره. فما يحدث هو تعظيم لتاريخ وثقافة المُستعمِر من قبل

المُستعمَر، وهذا يؤدي بدوره إلى تقدير وتصوير ذاتي سلبي لدى المُستعمَر، فيصبح المُستعمِر مثلاً يُحتذى به، بينما ينظر المُستعمَر الى نفسه بشكل مُهين. (Fanon, 1963) وهو ما يقود بدوره إلى نظرية فرض الإتصال، و بناءً على هذه النظرية فإن زيادة الاتصال المباشر بين الجماعات من شأنه أن يقلل من مقدار الإتجاهات التعصبية بينها، بما ينطوي عليه من مشاعر كراهية وخصومة وقوالب نمطية وإدراكات مسبقة خاطئة؛ فليس شرطاً أنّ التمسك بالأفكار النمطية الإيجابية نحو الجماعة الداخلية يقتضي النظر إلى الجماعة الخارجية بسلبية، وهذا وفقاً لنظرية التصنيف المعرفي. (المستكاوي،2007) وبالتالي فإنّ هذا يجسِّد معنى أن يتم تناول ذهنية المستعمَر في سياق إستعماري لم ينتهِ بعد.

ومن ناحية أخرى، لقد أشار أغلب الشباب المقدسي إلى أن وجود شخص معهم من نفس ثقافتهم يتعرض لنفس ظروفهم في الوضع الإستعماري، أمرٌ من شأنه أن يُسهّل عليهم ما يشعرون به من مشاعر سلبية تجاه وضعهم الإستعماري المُعاش. حيث من المهم أن يكون هنالك وحدة جماعية لدى الشباب المقدسي في ظل الشعور بالإنتماء، وهو ما يمثّل بدوره في نظر الشباب المقدسي إمكانية كبيرة نحو تكاتف الفعل (ACTION) بين أفراد الشباب المقدسي العامل لدى المستعمِر، فهذا التكاتف يستمدّ أولويته لدى الشاب المقدسي من كونه يمثّل آلية لديهم في التغلّب على شعور الإغتراب والخوف من المجهول، كما ظهر في المحور السابق. بمعنى أن هذا التكاتف يشكّل جزءاً من كرامة وإحترام هذا الشباب المقدسي، وهو ما يفسر بدوره أهمية التعاضد بين أفراد الجماعة المستعمَرَة. وعليه، فإن تأكيد الشاب المقدسي على المسمى (فلسطيني) مرتبط أيضاً بهوية المكان (القدس) بالنسبة للشاب المقدسي العامل في القدس، ومن ناحية أخرى، من شأنه أن يؤكد أيضاً على مسؤوليته تجاه ثقافته وهويته، وهذا التأكيد يظهر لديه من خلال قيامه بالتغيير في واقعه الاستعماري المعاش، وإن كان ذلك من خلال النشاطات الداعمة والفكرية. ولكن في نفس الوقت أن كل هذا غير كفيلٍ بأن يجعل الشاب المقدسي قادراً على أن يتخلى عن فرص العمل التي قد يسخِّرها الاستعمار له، بغض النظر عن جودتها؛ حيث أشار أغلب المبحوثين أيضاً أنه مهما بلغ شعور الارتباط لديهم بالقدس واحتياجهم للشعور بالكرامة والإحترام، لا يعني أن لا

يكترث الشاب المقدسي لصورته أمام المستعمِر، فهذا بنظره يساعده على أن يجعل من يعمل لديه يعلم بأن كونه مقدسي وفلسطيني لا يعني أن لا يكون لديه جودته في العمل وفي الشخصية، وهذه النقطة مرتبطة بالمحور الرابع لاحقاً. وعليه، فهذا مرتبط في كون الشباب المقدسي بحاجة أيضا إلى عدم التفريط في فرص العمل واستغلالها؛ لأن هذا أصبح هو الوضع الطبيعي بالنسبة إلى الشباب المقدسي مع العلم أنه ليس بالضرورة أن يكون وضعا ًطبيعيا ً (غير الطبيعي يصبح طبيعي)، وهذا مرتبط بمسألة التخبّط في استدخال العقلية الاستعمارية نفسها والعيش في ظل أنواع مختلفة فيها. وبالتالي يُظهر هذا كيف أن الشباب المقدسي العامل يتأرجح ما بين هويته الجماعية والذهنية الإستعمارية.

" برغم انه احنا محتلين بنشتغل في اماكن لليهود ويعني مش هداك الاشي اللي بيعنيلي كتير وبعنيش كتير.. قد ما بيعني للشغيله لما معهم شهدات يمكن يكون مش هداك الشغل انه انا هاي مرحله بدي اخلصها ومش راح ارجع وفي النهايه بيضل يهودي مش راح اقدر اعمل اشي يعني انتي محتله مش راح تقدري تسوي اشي وبتشتغلي عندهم صعب تغيري او تعملي انقبلاب ونصير احنا نحكم هدي بدها وقت وبدها كتير شغلات"

من هنا يظهر أن قياس إستدخال الاضطهاد ليس أمراً سهلا، لا سيما أنها ظاهرة معقدة ومن الصعب أن يتم قياسها. إضافة إلى أن التوجه إلى طبيعة الذهنية الإستعمارية التي تتصف بالحساسية وتهديدها للذات الإنسانية تجعل من الشخص الذي يختبرها غير قادر على الإعتراف بها، ولا أن يلغي حضور الأفكار التي تنبثق عنها، كذلك التوجهات والسلوكيات، وهو أيضا ما يفسّر بدوره أن وجود أداة لقياس إستدخال الاضطهاد لدى المستعمَر هو أمر محدود، ويخلق حاجة لوجود أداة أخرى يتم من خلالها توضيح البنية النفسية للذهنية الإستعمارية لكي نفهم تأثيراتها أكثر. وبناءً عليه، يقودنا هذا إلى التلقائية في التوجه نحو الذهنية الإستعمارية. (David,2011) فالإنسان المقهور يعاني من أعراض القلق والتوتر والصداع والعدائية، وينعكس ذلك على مجمل تصرفاته وسلوكه، فالإنسان الذي تمّ مسخ إنسانيته من خلال القهر والإستبداد يتصرف بسلوك خالٍ من الإنسانية ضد الآخرين، خاصةً مع من هم أقلّ منه قوةً، ويمكن أن يمارس السلوك ذاته

حال إمتلاكه القوة الضرورية مع المتسلط نفسه، وعلى العكس فإنه يخضع للإنسان القوي (الربيعي،2007)؛ وهو ما ينطبق أيضًا على الأقلية الفلبينية في الولايات المتحدة.

وفي حقيقة الأمر، إن هذا يرتبط بأحد المحاور التي توصل لها ديفيد وأوكازكي فيما يتعلق بالعملية المعرفية الناتجة عن العقلية الإستعمارية المتواجدة لدى الأقلية الفلبينية في الولايات المتحدة. فيوضح أحد المحاور أن الذهنية الإستعمارية لدى البعض من الأقلية الفلبينية، تنشط من خلال إستخدام وسائل وآليات أولية يتم استخدامها في مساحة الوعي الإجتماعي الموجودة لدى ذلك المضطهَد، وهو ما أشار له علم النفس المجتمعي بشكل كبير، فقد أشار جيف في كتابه علم النفس المجتمعي نحو السعي للتحرر والتوافق النفسي أن الخبرات التي يعيشها الفرد بالإرتباط مع قيمه العليا، كالعدالة المجتمعية في ظل الفجوة لديه ما بين رؤيته للعالم وما بين إعتقاده كيف يجب أن يكون هذا العالم، تساهم جميعها في خلق بؤرة متذبذبة تجعل هذا الفرد يسعها لفهمها، خاصة في ظلّ عيش الفرد ظروفاً اضطهادية قاهرة تهدد صحته النفسية وحياته. وبالتالي فإن عيش الفرد في سياق إستعماري يؤثر على مشاعر الفرد المُضطهَد وسلوكياته. (Nelson & Prilleltensky, 2010) ومن هنا فإن موضوع العقلية الإستعمارية كظرف يعيش المضطَهّد في ظلّه يجعلها تنشط تلقائياً من خلال التعرض المجرد لمثيرات تخدم العقلية الاستعمارية نفسها، لا سيما وأن استدخال الاضطهاد المعاصر والإستعمار التاريخي مرتبط تلقائياً بالأفكار والمشاعر السلبية كالشعور بالنقص، ومدى تفوق الآخر (المستعمِر) على المضطهَد(David & Okazki,2006) وهو ما ظهر بشكل واضح على أحد المبحوثين :

" صعب اكون فلسطيني بيشرفنيش اكون فلسطيني كيف يعني لانهم كزابين فش قضيه ههه انا لو في عالم ولو في قضيه اول واحد بمسك سلاحي وبطلع بوقف مع المقاومه... زمن القضيه مات وأنا لما انولدت كان في احتلال هون انا لما كنت صغير ابوي كان يحكي مع اليهود ولما كنت صغير عمامي كانوا يشتغلو عند يهود ولما كنت صغير اليهود كانوا يجو عنا عالدار ويتغدوا ف اشي عادي تكيفنا مع الوضع ومن واحنا صغار... بس ازا بتساليني مش عارف لا انا بقلك يهودي ولا بقلك عربي ويلا انت ايش؟ مش معروف اي واحد فينا مش معروف.. انا

ما بتصنفش انت ايش شايف حالك يعني ؟ ازا بدي ارجع لاهلي فلسطيني... طيب بتشوف انه انت الثقافه او الهويه الفلسطينيه بتشكل جزء منك؟ ل ء.. بحس انه في مسؤوليات تجاه نفسي.. ادير بالي عحالي وما اضيع وقتي هبل ومش هبل واحتلال ومش احتلال مالي ومال هالقصص هيني بدرس بخلص دراستي بشتغل بصير بني ادم وبعيش حياتي وبنعطيها بعدين"

بينما يتعارض هذا مع مبحوث آخر: ***"انا بفتخر اني اكون فلسطيني، تاني اشي بعنيلي انه احنا هون موجودين في القدس كشوكه بالنسبه للاحتلال يعني موجودين همه بدهم القدس واحنا موجودين فيها بس ما بيقدروا يطلعونا منها ... اول اشي لازم نحافظ عبلدنا ونتصرف تصرفات تبين انه احنا متقدمين وفهمانين قدام اليهود ومش انه احنا تابعين الهم ونكون مستقلين بحالنا ويكون النا مرجعيتنما مش مرجعيه الهم."***

وهذا مرتبط بمسألة التخبّط في إستدخال العقلية الاستعمارية نفسها، والعيش في ظل أنواع مختلفة فيها. وبالتالي، يُظهر هذا كيف أن الشباب المقدسي العامل يتأرجح ما بين هويته الجماعية والذهنية الإستعمارية.

"صعب الواحد يحس بالغربه داخل وطنه..انا مش رضيان بس مضطر احافظ عمصدر رزقي وطبعا شعور سيء لما اطلع من داري على السته الصبح وارجع عالتنتين الضهر واتحمل جميع الاهانات واتحمل كلشي عشان بس احافظ عمصدر رزقي"

أي ّأن رفض الشخص لمنظومة أفكار معينة لديه لا يعني بالضرورة أن يتم إلغاء عملية الإرتباطات المعرفية التلقائية وتنشيطها؛ بمعنى أن التلقائية في الأفكار المعرفية لديه نحو الآخر قد لا تأخذ جزءاً من مساحة إدراكه، بل يتم إكتساب الإرتباطات بين ما يمثل عقدة للفرد، وهو ما يفسر كيف أن البعض من الأقلية الفلبينية لم يتقبلوا نظام العقلية أو الذهنية الإستعمارية كنتيجة منبثقة عن فعالية نظامهم الإدراكي المعرفي، بمعنى أن الاتساق مع نظام الثقافة العقلية الإستعمارية قد يكون موجوداً ويشكل حيزاً من النظام المعرفي الإدراكي لدى الفرد حتى وإن لم يظهر، وهذا ما ينطبق فعلاً على الشباب المقدسي في القدس. (DAVID, Okazaki & Nadal,2011) إن هذا يشير إلى مسألة التخبط في الذهنية الإستعمارية، واستدخال نوعيات

متعددة من الهزيمة، وأكثر ما يفسّر ما جاء على لسان هذا المبحوث السابق، أن المنهجية القمعيّة التي يستخدمها المُستعمِر لقمع المُستعمَر تتحول إلى فضاء المُستعمَر العام، وهنا تبدأ آثار المنهجية القمعيّة بخلق هوية جديدة للمستعمَر تتأرجح بين هويّته على المستوى الفردي وهويّته على المستوى الجماعي، ومع الوقت يشعر المُستعمَر بالهوّة ما بين المستويين، لا سيما في ظل شعوره بمجموعة العواطف السلبية التي تُرسِّخُها الذهنية الإستعمارية في عقل المُستعمِر، وعليه يتميز الوضع الاستعماري بأنه يفرض على العالم إنقساماً ثنائياً، ففي الوضع الإستعماري ليس هناك ما يفرض الحياة الكريمة؛ حيث أن السيطرة تكون لصالح الطرف الأكثر قوة وهو المُستعمِر الذي يتخذ له وظيفة دائمة تتمثّل بإلحاق التعاسة والمعاناة في حياة المُستعمَر، الذي لا يتبقّى له سوى خيار محاولة العيش بشتّى الطرق حتى وإن كانت بالتقبّل. (Fanon,1963)

في حقيقة الأمر، إن كل ما سبق يأخذنا الى جزئية في غاية الأهمية، والتي تتمثل بالعلاقة ما بين **العقلية الإستعمارية والتثاقف**؛ حيث أن مدى إرتباط الفرد بثقافته وهويته العرقية وشعوره بالإرتياح فيها وأنه جزءٌ منها، يسمى الوجود في الثقافة نفسها، بينما عدم شعوره بالإرتباط نحو ثقافته وتراثه أو أيّ ثقافة أخرى يدعى تثاقف (إدعاء الإنتماء للثقافة). فهناك عدة عوامل تؤثر في عملية التثاقف، ومنها مقدار تأثير العوامل الاجتماعية السياسية، مثل الإقتصاد والهجرة، والتمييز العنصري وكذلك الإضطهاد؛ وهذا أكثر ما ظهر عليه الشباب المقدسي العامل فيما يتمثّل بشعورهم نحو الاضطهاد والتمييز العنصري. وبالتالي؛ عندما تدفع خبرات التثاقف لدى الفرد كالعوامل الإجتماعية السياسية لمواجهة هذه العوامل نحو التغيير فيها أو التأقلم معها، تصبح هناك إمكانية لأن يشعر الفرد بمزيد من الضغط. لذا، فإن الباحثين في علم النفس العرقي وجدوا أن ضغط عملية التثاقف واستجابة الأفراد لها مرتبط على نحو كبير بالصحة النفسية للفرد. ولعلّ أكثر ما يوضح ما جاء به الشباب المقدسي هو أن الفرد يدخل في عملية التثاقف من خلال الامتثال أو الامتصاص، والذي فيه يقوم الفرد المضطَهَد بالالتصاق في ثقافة الآخر المهيمنة، بينما يكون لديه التزام قليل نحو ثقافته الأصلية، أو يكون لدى الفرد التزاماً عالياً نحو ثقافة الآخر المهيمنة وثقافته الأصلية في آن واحد وهو الدمج أو التوحيد، كذلك الانفصال، وفيه يشعر

المُستعمَر بالإلتزام منخفض نحو ثقافة الآخر المهيمنة وإلتزام عال نحو ثقافته الأصلية. وأخيراً، التهميش حيث يكون لدى الفرد التزام منخفض تجاه ثقافة المهيمن وكذلك تجاه ثقافته الأصلية. (David, Okazaki & Nadal, 2011)

وبالتالي، لو نظرنا مطولاً في الإقتباسات التي جاءت على لسان الشباب المقدسي المبحوث، سنجده بتعدّده وإختلافاته يعيش في خضم إزدواجية تعددية في ثقافته وهويته. فـــــــــَــــــــــــي الوقت الذي يشعر بتقديره لذاته وحاجته لأن يشعر بأنه مُحتَرَم من قِبَل من يعمل لديه، نجده لا يستطيع أن يردع ما قد يحدث له في حال تم انتهاك حقوقه، وهذا ما ظهر بشكل واضح فيما يتعلق بالعمل في أيام العطل كمثال بسيط وغيرها من الأمور. وفي الوقت نفسه، نجد أنه لا يمكنه أن يتنازل عن فرصة العمل المتاحة بين يديه، وليس على نحوٍ من هذا القبيل فقط، بل قد يصل ذلك الى تشرُّب الذهنية الاستعمارية في أدق تفاصيلها وهو ما قد ظهر على لسان أحد المبحوثين:

"وبالمقابل لوني بشتغل عند عرب مش متعلم مش نافع والعرب مش نافعين معروفين شو احنا العرب شو بدنا نحكي... ايش احنا العرب؟؟ العرب احنا همجيه متخلفيتن عقليا... بعدين طبعا بدهم يسووا معابر لما تيجي وحده محترمه ومحجبه تشلح وتكون لابسه في بطلونها شو اسمه متفجرات طبعا بدهم ينفلو كل خواتنا ونسوانا طبعا بدهم ينفلوهم هدا اشي بيقهر لما احكي اشي بيقهر شو مال ربك تحملي انتي متفجرات تدخليها عالمحسوم نفلوها ازا بتفوتي عاليوتيوب بتشوفيها نفلوها لابسه بنطلون وبقلبه بطلون حاطه ت ن ت .. ليش تطعنه في احتلال في قضيه اكبر منك واكبر من كل الل خلفوك في قضيه سياسيه انت شو خصك كبني ادم شو يعني مزراح اه مواطن انت كمواطن شو خصك بهالقصص هاي بس"

نستنتج مما سبق، أن استدخال الهزيمة أو الاضطهاد منبثق بشكل كبير عن الالتزام المنخفض أو القليل نحو الثقافة الأصلية لدى المضطَهَد، وامتثال كبير نحو ثقافة الآخر المهيمنة، وهو ما يشير أيضاً الى أن استدخال مستويات عالية من الذهنية الإستعمارية منبثق عن الإرتباط القليل بالهوية العرقية؛ وما يفسر أن الأقلية الفلبينية في الولايات المتحدة تميل إلى الإتجاه أكثر نحو ثقافة

الإستعمار، وأقل نحو ثقافتها الأصلية؛ وهو ما يجعل تقييمها وفهمها لثقافتها قليل، وكذلك مشاركتها فيها. لذلك، فإن هذا يرتبط بدوره بالعلاقة ما بين العقلية الإستعمارية وتقدير الذات، فبالرغم من أن الفهم للذات يرتكز على مفهوم التقدير الذاتي للفرد (كيف يقيِّم الشخص الصفات الشخصية لديه) ،إلا أن هناك جدل يخالف ذلك، والذي يشير إلى أن تطوير مفهوم إيجابي لتقدير الذات الجماعي (كيف يقيِّم الفرد جماعته كجزء من تقدير الذات لديه)، يرتبط بدوره بالصحة النفسية للفرد، فمفهوم الذات لا يتشكل بناءً على الفرد، إنّما من خلال الجانب الفردي والعنصر الجماعي، فكلاهما مرتبطان ببعضهما البعض، وذلك بغض النظر سواء كان ذلك يشمل صفات إيجابية أم سلبية في شخصية الأفراد، وهذا وفقاً لخبرة الأفراد، من خلال ما يتعلمه الفرد وما يكتسبه. وعليه، بما أن تقدير الفرد لذاته يتمثل بمدى تقييم الفرد لذاته إيجابياً؛ فإن تقدير الذات الجماعي أو الجمعي يتمثل بمدى تقييم الفرد إيجابياً للجماعة التي ينتمي إليها، وهذا في غاية الأهمية؛ لأن الفرد في حال كان يستمد تقدير ذاته بشكل سلبي من خلال جماعته التي ينتمي لها فإن هذا كفيل أن يجعله يتجاهل كل ما يربطه بهذه الجماعة؛ بمعنى أن جزءاً من مفهوم الذات سيتأثر من حيث توافقه النفسي، وصحته النفسية وهو بدوره ما سيؤثر بشكل نهائي على مفهومه لذاته. (David, Okazaki & Nadal, 2011)

وعليه، إن الإعتراف شكل من أشكال الفدية الذي قد يتم تعزيزه، أو يمنح الآثم الشعور بأنه منبوذ خارج جماعته. فالإعتراف لا يخدم المُضطَهَد شيئاً، وهو ما كان يجعل المسلمين في الجزائر يشعرون بالمسؤولية تجاه النظام الإستعماري؛ بمعنى أن إعتراف الجزائري بذلك لا يجعله يشعر بالذنب إتجاه جماعته فيشعر بأنه غير مُلزَم للسلطة، وحتى عندما يقوم بالكذب، فإن هذا يكون من أجل وجوده في مجتمع يحتاج لأن يعيش به ويواصل حياته فيه (تبرير.) وعليه، فإن هذا الإنكار (الكذب) هو ردّ فعل على الإغتراب الذي يشعر به، ولكن بالرغم من ذلك فإن هذا لا يعني أن يتم خلق علاقة جيدة ما بين المستعمِر والمستعمَر فتبقى علاقة إستعمارية. (Mcculloch, 2006)

ولكن من ناحية مخالفة، فإنّ الإرتباطات المعرفية التلقائية من الممكن حدوثها، خاصة عندما يقوم الفرد باستغلالها للوصول إلى أحكام معينة، أو يريد تبريراً لسلوكياته التي تتعارض مع تقاليد

ثقافته الأصلية؛ وهذا يحدث عندما تكون إرتباطات الفرد المعرفية مبنية على أشياء معينة ترتبط بأهداف لدى الفرد، وهو بدوره ما يحتّم حدوث هذه الإرتباطات المعرفية بشكل تلقائي، ومن ثم يصبح الفرد قادراً على أن يبرّر طريقة تفكيره المتناقضة لثقافته بشكل منطقي ومقبول بالنسبة له (David,Okazaki&Nadal,2011)، والذي ينطبق بدوره على نحو كبير فيما جاء على لسان المبحوث السابق. وبهذا تظهر لنا أزمة الهوية الثقافية لدى الشباب، وإنسلاخه الى حدّ ما في الذهنية الإستعمارية، فهو بحاجة لأن يحافظ على إنتمائه نحو جماعته الأصلية؛ فشعوره بالإنتماء مستمدٌ من أهمية أن يشعر بذلك في بيئة عمله، لا سيما أمام من يعمل لديه. لذا، فهذا من أهم الأسباب لديه التي تجعله يتمنّى لو بإمكانه أن يجعل مكان عمله يضم أكبر قدر ممكن ممن ينتمون لنفس ثقافته وهويته، وليس فقط على هذا النحو، حيث أن تمسُّكه بجماعته أمام الآخر، يتيح له فرصة أن ينقل صورة إيجابية عنه وعن الجماعة التي ينتمي إليها، لا سيما وأن هذه الصورة لا تعود فقط عليه، بل تعود أيضاً على جماعته التي يشعر بأنه مدينٌ لها بالإنتماء. وعليه، فإن هذا التأكيد يقع ضمن أولويات الشباب المقدسي العامل، لا سيما وأنه يعمل في ظل ظرف إستعماري في القدس، وهنا تكمن أصالة هذه النقطة بالنسبة للشباب المقدسي العامل الذي يعمل لدى الآخر.

ومن ناحية أخرى، فإن هذا الشباب المقدسي مُدرك لمجموعة الأفكار النمطية السلبية التي يعتقدها نحوه الآخر الذي يعمل لديه كونه يعود لثقافة إستعمارية، لذلك يمثّل هذا مهمة مستمرة للشباب المقدسي والتي يقوم بها أثناء عمله وفي أي وقت يكون فيه على إحتكاك مع الآخر. وبالتالي، فإن مقدار المشاعر السلبية التي يشعر الشاب المقدسي العامل بأن الآخر يحملها تجاهه، يجعله بحاجة لأن يضع نفسه في وضع دفاعي عن نفسه أمام الآخر، وأن يكون على أتمِّ إستعداد لأن يُثبت ذلك بأبسط الطرق، وهو ما يمثّل أقل ما يمكن فعله كشباب مقدسي يعتبر حياته تحت الظرف الإستعماري مقاومة لكيان الإستعمار بحد ذاته. إضافة إلى أن تأكيد الشباب المقدسي على أن ينقل صورة إيجابية عنه أمام الآخر منبثق عن وجود أفراد من نفس جماعته يمثلون فعلاً الأفكار السلبية التي يحملها المستعمِر عن الشباب المقدسي الفلسطيني كالعملاء.

"للاسف في عندك عرب كتير هيك بورجوا اليهود انهم اوسخ منهم وبوصلوش الصوره اللي صح وبصوره سيئة بورجوا الجانب السلبي مش الايجابي لازم نطبق اخلاقنا واسلامنا"

نجد أن الوعي يلعب دوراً مهماً في هذه الجزئية، حيث أن يقظة الوعي الإنتقادي تقود إلى التعبير عن مشاعر السخط الإجتماعي؛ وذلك لأن مشاعر السخط هي مكونات حقيقية لأي وضع فيه قمع واستبداد وخوف من التغيير نحو الحرية. (فريري،2003) من هنا، فإن وعي الفرد بالعملية المعرفية التي تصبح تلقائية لديه باتجاه العقلية الإستعمارية، من أهم العوامل أو الإستراتيجيات التي قد تجعل الفرد المضطهَد يمنع تلقائية هذه العملية واستدخاله لها من الناحية الفكرية. ومن ناحية أخرى، هناك نموذج لا يعتمد على الإفتراضات غير الواعية؛ وهي التي تميز الفرق بين تفعيل أو تنشيط الإرتباطات المعرفية التلقائية، وبين فعالية العملية المعرفية أو النظام المعرفي، بمعنى أن تنشيط الارتباطات المعرفية التلقائية قد تأخذ حيزاً كبيراً من مساحة النظام المعرفي للفرد بشكل مستقل، عن ما إذا كانت هذه الإرتباطات سارية المفعول في وجودها لديه أم لا، بغض النظر سواء إعتبرَ الشخص طريقة تفكيره صحيحة أم خاطئة. (David, Okazaki & Nadal, 2011)

وبالتالي، فإن كل هذا مُجتَمِعاً يمثّل تحدياً للشاب المقدسي، الذي يجد أنه يترتب عليه في نفس الوقت أن يأخذ كامل الحيطة والحذر أثناء تعامله مع من هو مختلف عنه في ثقافته وهويته، لا سيما وأنه مدرك تماماً أنه ليس بإمكانه أن يلغي ما يحمله عنه الآخر من أفكار أو صور نمطية سلبية، والذي يجعل الآخر يتعامل معه بعنصرية وعدم طمأنينة، بل و يحاول قدر إستطاعته إرهاق العامل المقدسي واستغلاله جسدياً بصورة لا ترحم.

" واحسن بكتير لتعرفي انه الحوليكي عرب وبفهمو عليكي بترتاحي بالشغل واليهودي حتى لو شغيل مش مسؤول ما بتضمنيهمش فش الهم امان ... كيف يعني ؟ انه مسلا بتامنيه عشغله حتى لو عشرة عمر ممكن يروح يخبر ويشكي للمسؤول.. بشكل عام فش الهم اجابيات بس بالشغل في مرات الهم مسلا ازا بتحترمي الشغل بحترموكي بس بحاولوش يطوروا الشغيل او يطوروه اكتر.. عندهم سلبيات كتيره مسلا اطنفطر بالشغيله وصياح خاصه تحت ايدهم عربي

بيسوو لبدهم ياه وبتصير كتير شغلات.. ومرات ازا بيشوفك قاعده هادي اكبر سلبيات انه لازم تضلي تتحركي بحبوش يشوفوكي مرتاحه.. يعني عندك ناس بتشتغل وبس تسوي شغله صغيره خطا الناس بتنتقدها وكيف يعني مربع ابيض ونقطه سودا وهيك المسائيل خلص غلطه صغيره همن بس لبيشوفوها"

وعليه، فإن منظومة المسُتعمِر تعتقد بأن المستعمَر هو كاذب في طبيعته، وغير قادر على الإعتراف بأي إثم يقوم به تجاه المستعمِر (لا يتحمل نتيجة أخطائه)، ومن هنا فإن الغموض أو التناقض هو سلوك معقد يمكن فهمه من خلال الرجوع للعلاقة ما بين الفرد والمنظومة، وهذا يرتبط بالهوية الجماعية وحاجة الفرد لأن يشعر بأنه منتمٍ لجماعة معينة. لذا، فإن الإعتراف بأذية الآخر أو إضطهاده يتم فقط من خلال الوعي والإعتراف بهذا السلوك الإجرامي و غير العادل؛ وهو ما يجعله بحاجة لأن يجيب على مجموعة من التساؤلات الداخلية لديه حول شعوره بالذنب والمسؤولية تجاه الآخر. (Mcculloch, 2006) لا سيما وأنه يعيش صراعاً يترواح ما بين ضرورة تأكيده على هويته لنفسه، وفي الوقت نفسه حاجته لأن يظهر بصورة إيجابية أمام الآخر الذي يتطلب منه أن يخشاه.

3- التناقضات الوجودية لدى المُستعمَر:

إن تناول سياق بأكمله ذو ظرف إستعماري يترتب عليه عدة أمور تتداخل مع بعضها البعض، ويترتب عليها أيضاً طرق مختلفة في تعاطي الشباب المقدسي مع هذا الظرف. لذا، فإن الشباب المقدسي العامل يرى بأن تكلمّه باللغة العبرية، وإتخاذ غيرها من الوسائل كالإلتزام بلباس معين، أو الخروج في مظهر معين بالشكل الذي يخدم مصلحة محيط العمل الذي يعمل فيه، أمرٌ لا بد منه وخاصة اللغة؛ فيعتبرها المُستعمَر وسيلة من وسائل التأقلم والتواصل وتتيح له إمكانية الحفاظ على مكانته في العمل؛ وهذه الضرورة تنبثق من كون هذه الأمور كاللغة واللباس والمظهر جزءٌ من قوانين العمل نفسه، لا سيما إن كانت وسيلة يستمد من خلالها هذا الشباب المقدسي فرصته، في حال كان يهدف للوصول إلى وضع أفضل، والتقدم في وضع العمل الذي يعمل فيه. ولا يعني

ذلك نسيان ثقافته ولغته العربية، بل هي ضرورة ملحة خاصة في الوضع المقدسي المُعاش والمحاط بثقافة وهوية تختلف عن هوية وثقافة الشباب المقدسي.

وعليه، فإن فهم الوضع البيني الذي يتقاذف الإنسان المُضطَهَد يساهم بدرجة كبيرة في فهم الإستجابات المختلفة في العلاقة ما بين المُضطَهَد والمضطهِد، وكيف قد يُسخِّر المُضطَهِد وسائله ليواجه المُضطهِد، لا سيما في ظل تأثير الإضطهاد على هويته؛ وهو ما قام الباحثان سون وفيشير في توضيحه خلال دراستهما *Differential Responses to an In-Between Status* حول بعض الجماعات الإفريقية؛ حيث أن إختبار تجربة الإضطهاد تختلف من حيث الإستجابة لها، لا سيما في ظل وجود الظرف الإستعماري وتأثيراته على السياق الإجتماعي والعلاقات الإجتماعية ما بين أفراد الجماعة المُضطَهَدة. ولعل أكثر ما يحدث هو وجود ردود أفعال إيجابية ذات مستويات متعددة تجاه الوضع الإضطهادي، فــفي الوقت الذي يشعر هذا المُضطَهَد فيه بالإنتماء إلى جماعته الأصلية و توحّده مع الجماعات التي تشبهه، قد يؤدي به ذلك إلى أن يعيد بناء ردود أفعاله نحو المُضطَهِد بما يتناسب مع وضعه كفرد أسفل الظرف الاستعماري (C.Sonn & T.Fisher, 2003) لذا، فإن التضارب في هذه المشاعر مجتمعة لدى الشباب المقدسي قد يخلق تركيزاً على الظرف الأساسي وهو الظرف الإستعماري، والذي يصبح لدى الشاب المقدسي رغبة في التخلص منه وهو ما يبدو بشكل قوي لدى المبحوثين :

"اللغه وغيرها صارت ضرورة زي ضرورة انه الواحد يشتغل فالاغلبية وانا منهم بشتغل عشان احوش شوية راس مال وافتحلي مصلحة صغيره واخلص من شغل اليهود لانه شغل اليهود اشي صعب ومُذل يعني مش سهل..وانا كشخص مقدسي بسعى لزوال الأحتلال وما بتمنى انه الشخص المسؤول عني شخص صهيوني وبعدين انا كشخص يعني كيف بدي احكيلك اليوم صرنا كشباب مقدسيين ما النا تأثير يعني كل الامور صارت في رام الله التطور الاقتصادي والوزارات كلشي في رام الله يعني الامور في تراجع حتى تهويد القدس الرئيس بحكيش عنه ف احنا الشباب بطل النا صوت حتى انه في القدس زادت نسبة المخدرات والكحول"

نجد أنه من خلال تعرض المستعمَر للصدمة، فإن من المتوقع أيضاً أن يتعرض لديناميات أخرى شبيهة بما يحدث معه في مرحلة اتصاله المباشر مع المُستعمِر، وأن ينتقل بشكل أساسي إلى مرحلة التنافس الإقتصادي؛ والذي يمثل المرحلة الثانية من إضطراب ما بعد الصدمة بين الأجيال، حيث يحدث هذا في ظل خسارة المستعمَر لأرضه ومكان تواجده، فيبدأ شعوره بوحشية الحياة وصعوبتها (حياته الإستعمارية)، خاصة وأن المستعمِر يسلب المستعمَر أغلى ما يملك، فما يحدث بالأساس هو أن المستعمِر يحرص على الإستمرار في أفعال وسلوكيات تعارض سلوكيات وأفعال المستعمَر، ففي كل مرة يبدأ المستعمَر بالإنسجام والحفاظ على أصالته يحاول المستعمِر بأن يحطم هذه القوة في أوج تكوينها لدى المستعمَر. ولعل أكثر ما يميز ما يقوم به المستعمِر هو محاولة دفعه المستعمَر بشكل دائم على الإستهلاك في حياته والاعتماد على العالم، عوضاً عن عيشه معه وتأقلمه فيه، لكي لا تتسنى له فرصة الوقوف على أقدامه وتكوين أي قوة تساعده في عيش حياته فهو يريده فقط أن يستهلك بدون أن يكون عنصراً منتجاً. (Eduardo & Bonnie, 1995)

ولو تمعنّا بهذا فعلاً وبشكل دقيق، سنجد أنه واقع الحدوث في الظرف الإستعماري لدى الشباب المقدسي، وهو ما ظهر بشكل واضح من خلال هذا الشباب العامل، فهو مدركٌ تماماً بأن المستعمِر يريده أن لا يعتمد على نفسه، وأن يبقى في دائرة الإستهلاك من المستعمِر بشكل دائم، وهو ما يتضح في منهجية المستعمِر في فرص العمل لديه وسياسته في العمل. فهذا الشباب يتأرجح ما بين مقاومته للظرف الإستعماري الذي يقبع فيه، وما بين حاجته للعمل، والعقلية الإستعمارية التي تسيطر عليه وتُشعره بأنه ليس بمقدوره فعل أي شيء آخر غير التقبّل ومسايرة الوضع الحالي الذي يعيشه:

"الوضع الطبيعي المسايره بس الوضع الغير طبيعي انه يرفض..انا رافض المسايره ويعني لو جيتي لباقي الشغيله كتير بننطرد من ورا هالشغله واحيانا في قوانين عنصريه لانه في يهود في شغله بتمر عليه اعياده ما بيحلق ذقنه اما الشغيله العرب لازم ..وفي معيقات بس ما بيطلع بايدنا انه نغيرها لانه فش حدا اله جرأة انه يحكي او يفتح تمه واللي اله الجراة راح ينطحي"

وهذا يقودنا إلى علاقة مهمة ما بين الإستعمار والعواطف؛ فعاطفة المُستعمَر هي التي توجّه طريقة تفكيره وشعوره بالمُستعمِر الذي يحيط به، فتشمل دافعيته وطاقته، وكذلك ثورته الداخلية على المُستعمِر، وهذه جميعها يختبرها المُستعمَر كحالة شعورية تصبح الموجِّه لأفعاله وأفكاره. إضافةً إلى المشاعر الأخرى التي قد تعتريه من شعور بالذنب، والخجل، والخوف أو بشكل معاكس فرح، حب، وتقبّل. في حقيقة الأمر، إن التداخل ما بين المستعمِر والمستعمَر في إطار وجودهما بمساحة عاطفية والتي يترأسها شعور المُستعمَر بالنقص، لكي يؤدي وظيفته بالطريقة التي يريدها المُستعمِر، لا بدّ أن يتم من خلال وصول المُستعمَر إلى مرحلة يقارن فيها بينه وبين المستعمِر، وهذا يتوقف على كيف يرى ويُعرِّف المُستعمَر نفسه، وبهذا تصبح المقارنة الإجتماعية جزءاً من مفهوم الفرد لهويّته الجماعية. وهو ما يتصل بدوره بحالة الإستعمار الذهنية لدى المستعمَر وعملية المقارنة مع المُستعمِر. حيث أن المفاهيم السلبية التي يحملها المُستعمَر عن ذاته وهويّته، يقوم مع الوقت بإستدخالها وتتجسد لديه كحقائق، وهذه بدورها تؤثر بشكل مباشر على سلوكيات المُستعمَر العاطفية لا سيما وعيه نحو شعوره بالإنتماء (Diaz & Garcia,2003). وهو ما ظهر كما يلي:

"الوضع المعيشي سيء كتير هون في القدس يعني الغلاء يعني من ناحية كمان مش محددين شو احنا لا مقيمين في دوله، وفش جنسيه وتاني اشي المعاشات قليله بالنسبه للغلاء.. انا بشوف ياه بسلموها للسلطه يا منصير مع اسرائيل... انا بحب نضل في القدس جتى لو بحكم فلسطيني بس انه نضل في القدس. والفرص قليله كتير يعني كل شباب القدس يعني تقريبا شغلهم بتراوح بين شوفير او طباخ او صفرجي غير هيك ما بتلاقي يعني فشي زمن الصنعات راح.. وفي ناس بتخلص شهات بس مع هيك بشتغلوا انه التعليم كتعليم بدو وقت كمان الوضع من ناحية ماده صعب."

وبهذا فإن ما سبق يرتبط بواحدة من أهم مقومات العلاقة الإستعمارية، هي الإستغلال الإستعماري، ويشمل شقين أساسيين ولعلّ أكثرهما أهمية: شكل العلاقة الإستعمارية، وهذا يرتبط بدروه بالهوية الإثنية. فمن ناحية، تلعب الهوية الإثنية دورا ً مهماً في العلاقة الإستعمارية بين

المستعمِر والمستعمَر، وصولاً لمرحلة يتم فيها إستدخال الإضطهاد لدى ذلك المستعمَر الذي يدور حول الذهنية الاستعمارية بشكل محوري؛ كأثر إستدخال الاضطهاد على الأقليّة الفلبينية في الولايات المتحدة كمستعمَرين، وهو ما أدى بهم إلى الوصول لمرحلة تشويش للهوية. (David & Okazaki, 2006)

"ما حدش حط علي مسؤوليه فبالتالي معليش مسؤوليه عفوا يعني.. وتجاه ثقافتي وهويتي ولا اشي محدش حط علي، ولا حد ياخد عني مسؤوليه. كوني مسؤول عن نفسي هدي بحد ذاتها مسؤوليه بس محدش حط عاتقي مسؤوليه ازا بدي اقعد احكيلك مباديء العروبه البحته واقعد اقلك اقعد امجد لء فش اي نوع من المسؤوليات واحنا ناس فالته هلء امسكي بني ادم ماوكلي سمعنا عنه امسكي بني ادم حطيه في غابه مش راح يربى ومش راح يطلع انسان وافلاطوني لء راح يطلع انسان غابه يعني وحش وهيك احنا مفش عنا ثقافه."

وعليه، فإن شكل العلاقة ما بين المستعمِرْ والمُستعمَرْ يُعَدْ شرطاً أساسياً في الإستغلال الإستعماري، والتي من شأنها أن تكون موجودة في حال كان هناك حيزاً للإستغلال، فإن هذا من شأنه أن يعطي المستعمِر فرصة للإستغلال؛ بمعنى أنه إن كان المستعمِر كمستقبل للثروة الناجمة عن إستعماره للآخر، يعتمد على السيطرة على الموارد والمصادر الطبيعية لكي يقوم بإستهلاكها، فإن هذا يُحَتِّم الافتراض المسبق حول وجود قوة عمل قابلة للتطبيق، وهذا لأن العمل يجعل المستعمِرْ يشعر بحجم المشكلة لديه؛ لأنه من دون العمل لا يستطيع المستعمِر أن يضمن يد عاملة قوية تجعل من عملية استعماره قابلة للتطبيق. وهذا يحدث من خلال خلق الرغبة والاعتياد على أي عمل يحتاج لجهد كبير لدى العامل (المستعمَر) الذي سيقوم به وبالشكل الذي يجعله يتحدد مستقبل المستعمِر، فالإستعمار لا يبحث فقط عن الربح بل أيضاً يعاني من الجشع، ويسعى للوصول إلى حالة ارضاءات شخصية تعود بالنفع على حالته النفسية، وهذا أخطر بكثير من سيطرته الإقتصادية، وهو ما يعود إلى العلاقة ما بين الاقتصاد والظرف الاستعماري. (Khanna, 2003)

"اليهودي بني ادم معني يمشي شغله وباقل طاقه ممكنه اله وبعطييني ثقه لانه مصلحته الاول والاخير فهو معني ازا انا روحت انو راح يجي واحد لسه بدو يطبعه في اطباعه وابصر يتفق معه ويلا لء..هو اول وعلى اخر بفكر معنا بشكل اقتصادي ومصلحته الاول والاخير"

يتضح أن الشباب المقدسي يتذبذب ما بين حاجته للإستقرار وما بين شعوره بالإغتراب وخوفه من المجهول؛ فهو يرى أن أي فرصة عمل متاحة أمامه هي بمثابة نافذة له نحو الإستقرار وتلبية احتياجاته. لذا، فهو يرى أن عليه أن يضحّي بكل ما لديه من إمكانيات ووسائل لكي يحافظ على أي فرصة عمل تعترض طريقه، لا سيما وأن هذه التضحية مرتبطة بمصالح شخصية لدى هذا الشباب العامل، وهذا بدوره يبني لديه الثقة بالنفس، والإيمان بقدراته الذاتية التي تساعده على إستمرارية حياته كمضطَهَد، ولكن بالرغم من أن هذا الشباب قد يمتلك وسائل تساعده على مجابهة الصعوبات، فإن هذا لا يعني عدم شعوره بالإغتراب والخوف من المجهول؛ فهو مدرك تماماً أن حفاظه على وضعه العملي لا يعني إمكانية استمراره دوماً فيه وعدم إمكانية خسارته.

" الوضع الاقتصادي كتير صعب في البلد من ناحية الشغل لانه بدك تحكي هلء الوافدين او السمر او الروس اللي جايبينهم من برا اليهود اخدوا نسبة كبيره من الشغل فهدا ادى لبطاله كبيره للشباب وفي القدس فش شغل قليل هلء ازا بدي اترك الشغل بدي وقت لالاقي شغل مش بسهوله فالوضع كتير صعب .. اللي امشي حاله ووضع البلد مش هداك الوضع وفرص العمل قليله زي المهجرين اجو من برا من اثيوبيا وافريقيا واخدوهم وهاي تعتبر ايدي عامله رخيصه وفي ناس بتشتغل شغلتين وتلاته عشان تلحق تدير اسرة وتدير عيله ..بس مش كفايه يعني ... وانا بستغلها عشان اواكب المجتمع ازا بتشتغلش بتعيشيش مسلا بغطي قسط الجامعه بحب اساعد اهلي ... احتيجات البني ادم كشخص الشغل هو اللي بيغطيها مسلا عشني انا طالب ممكن يغطي نسبه خفيفه"

لو تمعنّا بشكلٍ دقيق فيما سبق، سنجد أنه يشير إلى العلاقة ما بين الثقافة والعرق والشخصية، فالاستعمار عبارة عن نظام دينامي يخدم أيديولوجية معينة تغير في تعديل الإنتاج، بمعنى أنها ترتبط بالشخصية الإستعمارية نفسها، وهو ما يفسر بدوره عملية قهر الإستعمار المُعاصر؛ فعندما

يشعر المضطهَد بالإنسلاخ الإستعماري، تصبح هويته الثقافية والعرقية وأيضاً حياته في ظل الظرف الاستعماري جزءاً لا يتجزأ من هذا الإنسلاخ؛ وبدوره فإن هذا يجعل أفراد الجماعة المضطهَدة يعيشون إغتراباً مشتركاً(Mcculloch, 2006) وهو ما ظهر كما يلي من خلال أقوال أحد المبحوثين:

" انت حكيت انك مبسوط وانك علاقتك معه منيحه؟" قال: "مزبوط بس لامتا احنا هون عاشين في احتلال في فلسطين يعني مسلا لما بدي اجي افتح محل في تل ابيب غير الضريبه واليهود بضل بني ادم عربي راح كل شغله يوقفولي عليها ويعني لا سمح الله سويت شغله مسلا ركبت شغله منيحه لسياره وخربت وهدا البني ادم حكا للحكومه للضريبه وز علي واجوا فحصوني بيعرفو انه هدا عربي وهدا ل‌ء وهدا سووا ضده ونوقفوا عن الشغل بيضل بوجهة نظرهم هدا عربي" .

وبالتالي فإن أي جماعة يتم إضطهادها بغض النظر عن مكان وجودها، فإن إستدخال الإضطهاد من قبل تلك الجماعة يعود على أفراد الجماعة بأكملها، وعليه فإن إستدخال الإضطهاد تترتب عليه آثارٌ نفسية سلبية لمن يقوم باختباره؛ حيث يتم تناقله ما بين الأجيال من خلال التنشئة الإجتماعية، وهو ما يؤدي إلى نوع جديد من الإستعمار كالشعور بالاستعمار الداخلي، وأشكال الإضطهاد الحديثة كالإعتداءات الصغيرة، وهو ما يتفق مع الأدبيات التي تحدثت عن الذهنية الإستعمارية لدى الأقلية الفلبينية، والتي عرّفت الذهنية الإستعمارية بأنها شكل محدد من إستدخال الإضطهاد الذي لديه جذور إستعمارية يتم تناقلها عبر الأجيال المختلفة، من خلال أنواع أكثر حداثة في الإستعمار أو الإضطهاد عندما يصبح التمييز يخدم أهدافا ًإجتماعية إقتصادية. (David, Okazaki & Nadal, 2011)

الفصل الخامس

مناقشة النتائج

بما أن هذه الدراسة قامت بدراسة عقلية المستعمَر من خلال تناول تجربة عدد من الشباب الفلسطيني العامل في القدس تحت الحكم الإسرائيلي؛ حيث يعيشون تداخلات متعددة ومختلفة في آن واحد، وهذا من حيث تمفصلات كثيرة؛ كالإنشطار في هويتهم الجماعية، وإداركهم تجاه الوضع الإستعماري الذي يعيشون في ظله؛ السبب الذي بدوره يفسّر التناقضات المختلفة التي يعيشها هذا الشباب والتي تعود عليه بآثار نفسية متشابهة ومختلفة في آن واحد. وعليه، بعد الإنتهاء من الدراسة توصلت الباحثة إلى مجموعة من النتائج والتي تم ذكرها في الفصل السابق،

وبالتالي بناءً على ضرورة مناقشة هذه النتائج فإنه لا بد من أن تقوم الباحثة بتقديم رأيها بناء على النتائج التي تم التوصل لها:

في البداية، لا بد لنا عدم إغفال التعدد والإختلاف في الدراسات والأبحاث التي تناولت موضوع عقلية المستعمَر والظرف والإستعماري؛ وهو ما أدى إلى عدم وجود تعريف واضح للحالة الإستعمارية بإستثناء أهم التعريفات التي قامت بتوضيحه وهو تعريف جينادو: "حالة يتوفر ضمنها لقاء بين أعراق وثقافات أخرى، بحيث أن هذا اللقاء تم عندما يكون العرق الغريب والأقل عددا هو في الحقيقة العرق المسيطر اجتماعيا واقتصاديا؛ وذلك نتيجة تحكمه وسيطرته على مصادر القوة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، تتحقق هذه السيطرة وتم تسييرها من خلال القوة العسكرية والتفوق المادي الذي يملكه العنصر المهيمن." (jinadu,1976,p,604)

وبالإشارة إلى ما سبق ظهرت النتائج في السياق الفلسطيني كسياق مختلف ذي خصوصية مختلفة تقع ضمن ظرف إستعماري وهي كما يلي :

المحور الأول : وجود إستغلال طبقي كظرف إستعماري، حيث أظهرت النتائج أن عيش الشباب المقدسي أوضاعاً معيشية صعبة؛ تجعلهم ما بين معضلة سعيهم لتلبية إحتياجاتهم، وما بين حاجتهم لتقبُّل أي فرصة عمل متاحة أمامهم بغض النظر عن شعورهم بالرضا عنها، ولا سيما وأنه مدركٌ تماماً عدم وجود فرص العمل التي يطمح في إستغلالها والعمل فيها والتي لا يمتلكها.

في رأيي، وبناءً على الأدبيات المختلفة التي تناولت الحالة الإستعمارية في سياقات مختلفة وبعيداً عن أي تحيز، أجد أن الظرف الإستعماري في السياق الفلسطيني يتسم بعدة أمور تجعله يختلف عن أي ظرف إستعماري آخر، وهذا ليس فقط من منظور أن الظرف الإستعماري ما زال قائماً في السياق الفلسطيني؛ بل لأن تناوله لتجربة هؤلاء الشباب كفيلٌ نوعاً ما بأن يوضح مدى الإلتصاق في الذهنية الاستعمارية ومدى التأثُّر بها. فَـــفي الوقت الذي يتعامل فيه هؤلاء الشباب مع المُستعمِر الذي يمتلك أغلب مصادر العمل والقوة، ويمتلك مقدرة توفيرها كفرص عمل لهذا الشباب، قد يُحتِّم هذا على الشباب الإستسلام لواقعه والتعاطي معه قدر المستطاع، لكن من دون

أن ينسى بأنه مرغمٌ على ذلك، وهذا الإرغام بعينه يفسر بؤرة الصراع الكبيرة التي يعيشها هذا الشباب. وهنا لا بد وأن يقع في صراع من نوع آخر؛ فوعيه بأنه مرغمٌ ولا يملك حيلة، يخلق لديه قوة من نوع آخر؛ فإصراره على التشبث بموقفه، والتأقلم مع الواقع الإستعماري المعاش من شأنه أن يرسِّخ لديه هويتّه كإنسان فلسطيني، ويجعله متمسكاً بها أكثر وهو ما أكد عليه المبحوثين.

ومن منطلق أنني أمثل جزءاً من هذا السياق، وأحمل جزءاً من خلفية الأخصائيين الإجتماعيين في هذا السياق، أرى أن في ذوات هذا الشباب ودواخلهم شيء رافض كل الرفض للظرف الإستعماري الذي يعيش فيه، فالقضية ليست قضية الحاجة إلى الإستسلام والتأقلم مع الواقع، بقدر ما هي قضية إرغام على التنازل عن أهم أساسيات الراحة للصحة النفسية لهذا الشباب؛ وهذا بدوره يشكل تحدياً لدى كل إنسان فلسطيني في القدس؛ الأمر الذي على كل إنسان فلسطيني إدراكه بشكل عميق.

وهذا بدوره يقودنا إلى **المحور الثاني**: أثر الهوية الوطنية لدى هذا الشباب؛ فبنظري أن للإستعمار الإسرائيلي الصهيوني الدور الأكبر في ترسيخ الهوية الوطنية الفلسطينية وحدودها لدى الإنسان الفلسطيني؛ فالتخطيط الصهيوني المحكَم وهيمنته على مدى سنوات، ساهم في تقوية العلاقة الإرتباطية بين الإنسان الفلسطيني وأرضه وهويته وثقافته الفلسطينية؛ فتَعلّق هذا الشباب الفلسطيني العامل بهويته في ظلّ إنشطار هويته ما بين بُعْدَيْن، أحدهما البعد الذاتي لنفسه وكينونته كفلسطيني، والآخر كعامل لدى المستعمَر؛ من شأنه أن يشكل لديه الحجر الأساسي في تشبّثه بموقفه، وإلتزامه الشخصي في أن يستغل الفرص المتاحة أمامه، بالرغم من إداركه بأنه يحصل عليها من قبل المستعمِر. لذا، وبناءً على **المحور الثالث** الذي يتمثل في وجود هذا الشباب بالوضع البيني (ما بين الوعي الحقيقي وذهنية المستعمِر وما بين شعور هؤلاء الشباب بالمقاومة وضرورة العمل)، فإنه يُحتِّم علينا أن ننظر للسياق الفلسطيني من منظور مختلف ذي خصوصية مختلفة، وهو ما يفسر اتخاذ هذا الشباب وسائل متعددة تساعده على التواصل والاستمرار في الحياة التي يعيشها؛ فتعلّمه للغة، وبعض عادات اللباس، وقبوله لأن يتنازل عن بعض حقوقه في العمل بالرغم من رؤيته لعدم قبول الآخر (المستعمِر) لأن يتنازل عن حقوقه، تشكل جميعها جوهر وقمة

التضارب في المشاعر والعواطف التي تختلج هذا الشباب؛ فهو في ظلّ هذه المعطيات التي تنهم حياته وتصارعها بأدق تفاصيلها يسعى فقط لأن يصل إلى أبسط حق من حقوقه وهو أن يحيا في القدس وأن يلبّي احتياجات حياته الأساسية.

وفي الوقت نفسه، أجد أن الهوّة تكمن في شعور الشباب المقدسي ورغبته اللامنتهية في التخلص من هذا المستعمِر الذي يفتك بهذا الشاب العامل، ويسلب منه شتى مصادر قوته النفسية والعملية، فهذا الشاب المضطَهَد يذهب لعمله، ويكدُّ فيه، وفي عقله تطفو شتى مسؤوليات الحياة، بل وتقبع في مخيلته أدنى حقوق الحياة الكريمة المتمثلة لديه ببقائه في مكانه، وتحصيله لمبلغ من المال يلبي احتياجاته. ومن ناحية أخرى، ينتقل بحواسه وجسده لحالة غير شعورية بمكان عمله الذي يتحكّم فيه مستعمِر يشعر بالتعب إذا ما فكّر بإنسانيته؛ فكيف له أن يشعر بهذا الشباب العامل؟ وهو ما يجعله يطبِّق عليه قوانين العمل الصارمة في العمل؛ بل وحتى طَرْدْ هذا الشباب العامل أمام أي مشكلة تعترض طريقه وهو ما توضحه بعض الإقتباسات في الفصل السابق.

وعليه، تقبع هنا آثار المنهجية القمعية بكل تمفصلاتها، والتي بدورها تفسر التأرجح الذي يمر فيه هذا الشباب العامل ما بين مقاومته للظرف الإستعماري وحاجته للعمل. ولعلّي أجد أهم ما في هذا الصدد مجموعة العواطف المغلّفة بالصراعات المتداخلة ببعضها البعض، و التي تتلاقف الإنسان الفلسطيني في القدس. فإذا أمعنا النظر لوهلة؛ نجد أنه حبيسَ التحرر والعبودية في آن واحد، مرسخاً للأمل واليأس في آن واحد؛ بل هو متفائلٌ ومتشائمٌ في الوقت نفسه، فهو ثائر وخاضع، يتعامل بإيجابية وسلبية، ويشعر بالقوة أحياناً وبالضعف والوهن بأوقات أخرى. هذا كله؛ يجعل منه دائم الدوران في دائرة الصراع ما بين الحياة والعدم؛ وهذه جميعها يختبرها هذا الشباب المستعمَر كحالة شعورية تصبح الموجِّه لأفعاله وأفكاره. هذه جميعها يشعر بها في وقت واحد؛ وهنا برأيي قمة الصراع والتناقض، بل هنا تقبع الحياة واللاحياة، بل الموت بأمّ عينه.

إن هذا التخبط الهائل الذي يتأرجح فيه هذا الشباب المقدسي يأخذه إلى أفق الحفاظ على أصالته الذاتية، وهو ما يمثله **المحور الثالث؛** فَعيش هذا الشباب الفلسطيني العامل في القدس في ظلّ كل

هذه المعطيات تُحتّم عليه مواجهة الصعوبات على كافة الأصعدة؛ ولعلّ على رأسها عدم مقدرته على الاستغناء عن أي فرصة عمل أمامه، وشعوره بالحاجة لأن يطيع الآخر وخاصة في بيئة عمله مع المستعمِر. وبالتالي وبالإشارة إلى ما سبق، يجعلنا هذا نتيقَّن بأن الإنسان الفلسطيني يعيش صراعا غير منتهياً، صراعاً يتضمن بدوره صراعات أخرى. وهنا وكما أرى، تكمن قمة الشرخ وما يترتب عليه من فراغ، وعدم الإنتظام في أفكار ومدركات هذا الشباب الفلسطيني، الذي يمثل عينة من الإنسان الفلسطيني الذي يعيش المعلوم والمجهول في الوقت نفسه. لذا، ومن خلال اطّلاعي كباحثة على كل ما يتعلق بهذه الدارسة فأنا أجزم بأن الإنسان الفلسطيني يعيش شرخا قوياً ليس فقط في مدركاته الشعورية والفكرية، بل أيضاً في التوقيت (الزمن)، فكل الأحداث التاريخية التي عايشها الإنسان الفلسطيني وما زال يعايشها نظراً لإستمرار الظرف الاستعماري، تتلاقفته باتجاهين عميقين: الأول المقاومة والصمود، والآخر الحب والانفتاح على الحياة؛ حيث أن غياب الوسطية بين الاتجاهين من شأنها أن لا تولد الشرخ فقط؛ بل الانهيار بحد ذاته. فهذا الإنسان الفلسطيني في ظل كل الأحداث المنكوبة التي مرّ بها واستيقظ عليها، تجعله يرفض العدوان والظلم بقوة، وفي نفس الوقت تدفعه بجنون نحو حب الحياة وكراهية الموت. وبالتالي، التواجد في منتصف هذه المعادلة الصعبة من شأنه أن يساهم في بتر مقومات الراحة الحقيقية، والاتجاه نحو ولادة مشكلات حقيقية لديه. بمعنى أن رفض هذا الإنسان الفلسطيني للعدوان والظلم من قبل المستعمِر غير كافٍ بأن يجعله غير محتاجٍ لأن يستخدم نفس هذا العدوان والظلم تجاه نفسه، أو حتى تجاه المستعمِر. ولعلّ أهم الأفكار في هذه الجزئية توضيح فانون بشكل عميق؛ بأن ما أُخذ بالقوة، لا يُسترد إلا بالقوة؛ وعليه كيف يمكن لهذا الشباب العامل بأن لا يشعر بالحقد والكراهية تجاه هذا المستعمِر؟ كيف له وحتى في ظل تعامله معه، أن ينسى بأنه يترأس عليه بغض النظر عن وجود هذه الرئاسة في ظل عمل ووضع مهني طبيعي؟ كيف يمكن بأن يوقف مدركاته الحسية كمضطَهَد في كل دقيقة من دقائق حياته التي يتقاسمها مع المستعمِر في القدس؟

بهذا أرى أن أوج الأزمة في السياق الفلسطيني المقدسي في تجدد دائم، حيث أن المجتمع والسياق وعوامل ظروف الصحة النفسية للشباب الفلسطيني العامل في القدس وغيرهم من الفلسطينيين،

تختلف مع إختلاف الوقت، وهو ما يفسر الفرق بين الإنسان الفلسطيني الذي يعيش داخل الجدار الذي يفصل الضفة الغربية عن القدس وخارجه، وهذا ليس من منظور تحيزي بقدر ما هو حقيقة واقعية أخرى تمثل بدورها صراعاً من نوع آخر تترسخ مدخلاته في ذات الإنسان الفلسطيني. وهنا برأيي تكمن أهمية النظر إلى مسألة الفرق والإختلاف ما بين الأجيال، لا سيما في ظل تعاطي الأجيال المختلفة مع الظرف الإستعماري في السياق الفلسطيني وهو ما تم الإشارة له في الأدبيات مسبقاً.

وعليه و بناء على المحاور السابقة، فإن حب الإنسان الفلسطيني لحياته وانفتاحه المندفع نحو المستقبل المجهول في ظل الظرف الإستعماري، يمثل السبب الرئيسي الذي يعطيه قوة التحدي للمستعمِر ومقدرة الاستمرار في المقاومة. ولعلّ أهم ما يجعل كل فلسطيني سواء داخل الجدار أم خارجه متشابهاً؛ هو إشتراكهم في صراع واحد؛ وهو صراع التعايش مع الإحتلال والإنتهاكات المستمرة ضده وضد أمنه. ولكن في الوقت نفسه، تجعل كلاً منهما يعيش نكهة صراع فريدة من نوعها، فبقدر ما هو حجم الصراعات التي يعيشها كل إنسان فلسطيني متفاوتة؛ بقدر ما هي الفجوة ما بين أجيال الشعب الفلسطيني مستمرة، وهو ما بدوره يفسر الإختلافات بين مبحوثي هذه الدارسة نفسها، والإختلاف في أقوال المبحوث الواحد في جزئية معينة من كلامه وتناقضه معها في جزئيات أخرى .

وهنا كباحثة، لا بد لي من أن أوضح تقسيمي في نقاش النتائج إلى قسمين؛ حيث في ظل ما سبق لا يمكن لي كباحثة أن أتجاهل أو بالأحرى أن لا أتطرق إلى معززات أخرى توضح الصراع الذي يقبع فيه الشباب الفلسطيني العامل في القدس، وهو ما يجعل الباحثة بحاجة لأن توضح محاور أخرى تترتب عن موضوع ذهنية المستعمَر وهو ما يظهر في الفصل الرابع، لذا هنا يتضح إرتباط المحاور مع بعضها البعض.

من خلال ما سبق، وفي ظل كل العوامل المتشابكة في إدراك وَ وعي الشباب الفلسطيني العامل لدى المستعمِر، فإنني أحاجج كل فكرة تقول بأن هذا الشباب الفلسطيني غير واعٍ للظرف

الإستعماري الذي يعيش في ظله؛ فعمله لدى الآخر لا يعني عدم إدراكه للوضع أو تأييده للمستعمِر ورغبته في زيادة قوته؛ بل هو مُجبَر على تأمين أبسط مقومات الحياة له، ولو أتينا بتطبيق ذلك فيما يتعلق بإحتياجات الإنسان الأساسية، سنجد أن أهم الإحتياجات تصبح آخر إحتياجات في الهرم، أي أنه يحدث هناك قلبٌ للهرم، وهو ما يحدث تماماً لدى هذا الشباب العامل؛ وبالتالي كباحثة في حقل علم النفس المجتمعي أولا، وكباحثة درست موضوع ذهنية المستعمَر في السياق الفلسطيني، الأمر الذي يحتِّم علينا النظر إلى هذا السياق كسياق مختلف و ذي خصوصية تختلف عن أي سياق آخر يقبع في ظل حالة استعمارية، أرى أنه ليس بالضرورة أن يقترن الوعي الحقيقي الذي قد يتكون لدى المضطَهَد بالفعل الحقيقي (**real action**) تجاه وضعه الإستعماري الذي يعيش في ظله؛ بمعنى أن تأقلم الشباب الفلسطيني وعمله في الظرف الإستعماري وتقاسمه الحياة مع المستعمِر لا يعني عدم وجود الوعي، وهو ما أختلفُ و إياه مع فريري الذي أشار إلى ضرورة إقتران الوعي بالفعل الحقيقي حتى يعتبر هذا الإنسان المستعمَر إنساناً واعياً لما يمر به؛ فقدرة الفرد على أن يُكوِّن وعياً لذاته الفردية والجماعية، وأن يفكر بها بشكل نقديّ ويربط بينها، مسألة في غاية الأهمية لا سيما وأن هذا الوعي الجماعي أجدر بأن نبني عليه الكثير من الأمور، ولكن هذا لا يعني عدم تعرّض ذاك الوعي إلى العطب أو المرض، وهو ما قد يؤدي بشكل إجباري إلى أن يكون لدى المستعمَر فجوة ما بين سلوكه ووعيه، مع العلم أن الوعي قد لا يزال موجوداً .

الإستنتاجات :

* يتضح أن الشباب الفلسطيني العامل في القدس يتمتع بمساحة معينة من الوعي، وهذا يختلف مع بعض الأدبيات التي أشارت إلى أن تماهي الضحية مع المعتدي يجعل المعتدى عليه غير واع وغير مدركٍ للحالة الإستعمارية التي يعيش في ظلها.

* أظهرت الدارسة أن الهوية الإجتماعية تلعب دورا كبيراً وتمثل عنصراً فعالاً في نظرة ذلك الشباب الفلسطيني لنفسه وثقافته وعروبته الفلسطينية، ما يترتب عنه تشبثه أكثر بأرضه ومكان تواجده في القدس في ظل الظرف الاستعماري.

* إنّ عدم مقدرة ذلك الشباب العامل على إحداث تغيير فعلي تجاه الظرف الإستعماري الذي يعيش في ظله لا يعني تأييده للمستعمِر وسياسته؛ فهذا يعود لأن الحالة الفلسطينية تَتَخَلَّلُها نوعيات مختلفة من إستدخالات الهزيمة والتي تقع ضمن استدخالٍ هزيمي كبيرٍ يترأس كل مكنونات هذا الشباب الفلسطيني كمستعمَر؛ والذي يتمثل بضرورة التأقلم والحاجة إلى إستغلال الإمكانيات المتاحة والموجودة لدى المستعمر.

* يظهر أن أهم العوامل التي تساعد هذا الشباب الفلسطيني العامل على تحمل الصعوبات التي يواجهها في تجربة عمله مع المستعمِر كرئيسٍ عليه؛ هي (الشعور الجمعي) الذي يملأ جو العمل لا سيما في ظل بيئة عمل تضم غيره من الشباب الذي يعود لنفس هويته وثقافته.

<u>التوصيات في ظل الأبحاث المستقبلية:</u>

في حقيقة الأمر، إنّ وجود توصيات عملية تطبيقية في السياق المقدسي أسفل الظرف الإستعماري أمر من غير الممكن أن يعود بالفائدة الكبيرة من خلال هذا النوع من الدراسات، لا سيما وأننا نتحدّث عن سلطة إستعمارية تابعة لسياق إستعماري بحت، تتم السيطرة فيه للقوة الإستعمارية في السياق المقدسي، والتي تُعتَبر بدورها المنبع الرئيسي للمشكلات الموجودة في السياق المقدسي. لذا، فوجود توصيات ستشكّل إطاراً غير واقعي، بل مجرد حبرٍ على ورق؛ فالتدخّل يجب أن يكون على وعي، خاصة وأنّه من المهم أن يتم تكثيف نتائج من خلال دراسات حول موضوع ذهنية المُستعمَر حتى تكون التدخلات حقيقية.

ومن هنا تقودنا الاستنتاجات السابقة إلى ما يجب أن تقوم به الأبحاث المستقبلية فيما يتعلق بموضوع العقلية الإستعمارية في القدس، حيث أن التوصّل إلى وجود نوعية معينة من الوعي

تجاه الظرف الإستعماري الذي يعيش فيه الشباب المقدسي العامل، يمثّل الخطوة الأولى لفحص جوانب مختلفة ومعقدة في الوقت نفسه تتداخل فيها قضايا أخرى لما يتعلق بموضوع الذهنية الإستعمارية. وعليه، لا بدّ من القيام بدراسات جديدة تدرس أكثر موضوع الذهنية الإستعمارية؛ وهذا نظراً لقلة الأبحاث التي تتحدث عن الموضوع في السياق الفلسطيني، ولا سيما الأبحاث التي تتمركز حول الموضوع نفسه. وأيضاً دراسات تبحث الآليات والإستراتيجيات التي يقوم بها المقدسيون في التغلّب على الظرف الإستعماري أسفل مظلّة الهوية الجماعية والشعور الجمعي، حيث ليس بالضرورة أن ننطلق من فرضية سطوة العقل الإستعماري لدى الشباب المقدسي العامل، وما إن كان يُمكن تطوير مقياس معين يتضمن عدة آليات من شأنها أن تساعد الجيل الشبابي العامل في السياق المقدسي على الحفاظ على مساحة جيدة من صحته النفسيّة بناءً على إحتياجاته.

ومن ناحية أخرى، تخصيص أبحاث ودراسات معمقة عن الموضوع من خلال التركيز أكثر على العنصر النسائي الفلسطيني ومحاولة الوصول **إلى الفئة العاملة من الإناث** التي تحاول الخروج من دائرة التنشئة الإجتماعية، وتعمل أيضاً ساعية إلى تحقيق إحتياجاتها، ما يجعلها تشترك بنفس الأهداف مع الشباب المقدسي العامل. وكذلك دراسة الموضوع من حيث آثاره الإجتماعية والنفسية من حيث **القدس والضفة**، من خلال الفرق بين الشباب الفلسطيني العامل في (القدس) وبين الفلسطينيين الذين يعملون في (الضفة) كموضوع دراسي. وقد يتم الإنطلاق أيضاً من خلال تكثيف الدراسات حول **الوضع البيني** في القدس كبؤرة بينية من حيث وضع الفلسطينيين المقيمين في القدس الشرقية والفلسطينيين المقيمين في القدس الغربية، والفرق بين كل منهما وبين الإسرائيليين الذين يشكّلون مواطنين رسميين في القدس. وبما أن البحث الحالي ركّز على الطبقة العاملة الكادحة، لا بدّ وأن يتم البحث أيضاً على دراسات تتناول **الطبقة الوسطى العاملة** من موظفين في القطاع الحكومي كالمستشفيات والمدارس والمؤسسات الحكومية التي تخضع لإسرائيل كسُلطة دولة.

المصادر العربية :

أغازريان، أليز. (2010). المقدسيون وانشطار الهويّة: من وحي فرانز فانون. **مجلة الدراسات الفلسطينية، 82**، 80-79.

الربيعي، صاحب. (2007). سلطة الأستبداد والمجتمع المقهور. (ط1). سورية: دمشق: صفحات للدراسات والنشر.

الكرمي، غادة. (1999). بعد النكبة: تجربة من المنفى في انجلترا. **مجلة الدراسات الفلسطينية، 37**، 83-93.

المستكاوي، طه. (2007). صورة الذات والآخر بين العرب واسرائيل. (ط1). القاهرة، جامعة أسيوط: عين للدراسات والبحوث الانسانية والأجتماعية.

النتشة، رفيق. (1986). الإستعمار وفلسطين. (ط2). عمان، الأردن: مطبعة بيت المقدس.

بوناماكي، رايا لينا. (1988). الصحة النفسيّة للنساء الفلسطينيّات تحت الإحتلال الإسرائيلي. (أحمد بكر، مترجم) . القدس. جمعية الدراسات العربيّة.

حسن، محمود. (2010). الأحتلال وإشكالية السيطرة الثقافية: الأساليب النفسية والأجتماعية التي اتبعها المُحتل للسيطرة على المجتمع العراقي. **شؤون عربية، 144**، 136-165.

سمارة،عادل. (2001). اللاجئون و استدخال الهزيمة (قراءة في تخليع حق العودة). (ط2). لبنان، بيروت: دار الكنوز الأدبية .

شاخت، ر. (1980). **الإغتراب** (كامل يوسف حسين، مترجم). لبنان، بيروت: المؤسسة العربية.

شريعتي، ع. (2004). **النباهة والأستحمار** (هادي السيد ياسين،مترجم). لبنان، بيروت: دار الأمير للثقافة والعلوم.

صايغ، فايز، الكيالي، عبد الوهاب. (1965). الإستعمار الصهيوني في فلسطين. لبنان، بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية.

فريري، ب. (2003). **نظرات في تربية المعذبين في الأرض** (مازن الحسيني،مترجم). فلسطين، المركز الفلسطيني لقضايا السلام والديمقراطية: دار التنوير.

كاميك، بول، رووس، جاك وياردلي، لوسي. (2007). البحث النوعي في علم النفس: منظور موسع في المنهجية والتصميم. دار الفكر. الأردن

كيمبرلنغ، ب. (2011). **المجتمع الإسرائيلي مهاجرون ومستعمرون مواليد البلد** (هاني العبدلله،مترجم). لبنان، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

معلوف، أمين. (1999). الهويات القاتلة. (ط1). سورية، دمشق: دار الجندي.

مكاوي، ابراهيم.(2008). الحركة الطلابية الفلسطينية في الداخل لبلورة الهوية القومية واعادة تشكيلها. في عبد الرحيم الشيخ (محرر)، المنهاج الفلسطيني إشكالات الهوية والمواطنة (ط.1، ص ص. 186-206). فلسطين، رام الله: مواطن المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية.

المصادر باللغة الأجنبية

C.Sonn, Christopher., & T.fisher, Adrian,. (2003, March 2). Identity and oppression: Different Responses to an In-Between Status. *American journal of community psychology*, 31(1/2), 117-128.

David, E.J.R., & Okazaki, Sumie. (2006). Colonial mentality: A review and recommendation for Filipino American psychology. *Cultural Diversity and Ethnic Minority Psychology*, 12(1), 1099-9809Doi:10.1037/1099-9809.12.1.1

David, E.J.R., Okazaki, S., L.Nadal, K. (2011). *Filipino/American post colonial psychology* (1st ed.). USA: Author house.

Diaz, Nelson., & Garcia, Irma. (2003, March 2). The challenge of a positive self-image in a colonial context: A psychology of liberation for the Puerto Rican experience. *American journal of community psychology*, 31(1/2), 103-115.

Duran, Eduardo., Bonnie, Eduardo. (1995). *Native American postcolonial psychology*. USA: Univesity of new York press.

Fanon, F. (1963). *The wretched of the earth*. (1st ed.) New York: Grove Press

Hook, Derek. (2012). *A Critical psychology of the postcolonial : The mind of the Apartheid*. Britain: TJ International Ltd.

Jinadu, A. (1976). Language and politics: On the culture basis of colonialism. *African Studies, XVI*(3-4), 603-614.

Khanna, Ranjana. (2003). *Dark continents psychoanalysis and colonialism*. USA: Duke university Press.

Ligero, Daniela, Ruth Fassinger, Moria Mccauly, Jessica Moore, Nina Lyytinen. (2009). Childhood sexual abuse, culture, and coping: aqualitative study of Latinas. American psychological association. 33:67-80

Lorcin, Patricia M.E. (1995). *Imperial identities: Stereotyping, Prejudice, and race in colonial Algeria*. Britain: WBC Ltd, Bridgend, Mid glamorgan.

Mcculloch, Jock .(2006). *Colonial psychiatry and "The African Mind"* (1st ed.). USA: Cambridge university press, new York

Nelson, Geoffery & Prilleltenesky, Issac. (2005). Community psychology in pursuit of liberation and well-being. New York.

Parker, Ian. (2007). Critical psychology: What it is and what it is not. *Social and personality compass,* 1, 1-15

Phinney, J. (2007). Conceptualization and measurement of ethnic identity: Current status and future directions. *Journal of Counseling Psychology,* 54(3), 271-281.

Said, Edward. (1979). Orientalisim. USA: Newyork, vintage books.

Strauss, A.L., & Corbins, J. (1998). Basics of qualitative research: Techniques and procedures for developing grounded theory. Newbury Park, CA: Sage.

Yahia. (2007). Challenges in studying the psychological effects od Palestinian children’s exposure to political violence and their coping with this traumatic experience child abuse & neglect; 31:691- 697

الملحق :

اسئلة المقابلة

س1: حدثني عن نفسك قليلاً

س2:كيف ترى وضع المعيشة في القدس

س3: ماذا يعني لك شخصياً انك من ثقافة عربيه وهوية فلسطينية (نظرته لهذه الثقافة ورؤيته لنفسه كونه جزءا منها)

س4: هل تشعر بان هناك مسؤوليات ملقاه على عاتقك كونك من ثقافة عربية وهوية فلسطينية

س:ما رأيك في فرص العمل المتاحة امامك كشاب من القدس عليه أن يعيل نفسه، كيق تقوم باستغلال هذه الفرص

س5: ماذا تعمل حدثني عن تجربتك في العمل وما رأيك في هذه التجربه والى أي مدى راض عنها (الأمور التي تحبها/تكرهها في هذه التجربه)

س6: ماذا يعني لك شخصياً انك تخوض هذه التجربة مع شخص لا تجمعكما نفس الثقافة ونفس الهوية وما رأيك في هذه الثقافة

س7: ما هي نظرتك لذلك الشخص (المستعمِر) وما هو رأيك في طريقة معاملته لك

س8: ماذا يعني لك أن تتكلم بلغة غير لغتك العربية وهل هناك أمور تقوم فيها بعين الاعتبار حتى تحافظ على مكانتك في الوضع الذي تعمل فيه مع المرؤوس ؟ ما هي الوسائل التي تقوم باتخاذها (هل من خلال اللغة /سلوكات معينه/ تسمية أخرى لاسمه/ مظهر/لباس)

س9: هل تمنيت للحظة لو أن الجو او المحيط الذي تعمل فيه خالٍ من اليهود وكان كل من تعمل معهم عرباً ؟ لماذا ؟

س10: من خلال تجربتك ما هو رأيك في علاقتك مع هذا الشخص(المستعمِر) وما الأمور التي تحبها او تكرهها في هذه العلاقة

س11: ما هي الأمور التي تسعى لتغييرها والامور التي تسعى للوصول لها من خلال هذه العلاقة

س12: ما هي المعيقات التي تواجهها في هذه العلاقه؟ وهل تواجهها ام لا تواجهها ولماذا

س13: هل سبق وتنازلت عن حقوق معنية لك؟ لماذا؟ وما هي الامور التي خشيت خسارتها (إن كانت الإجابة نعم